

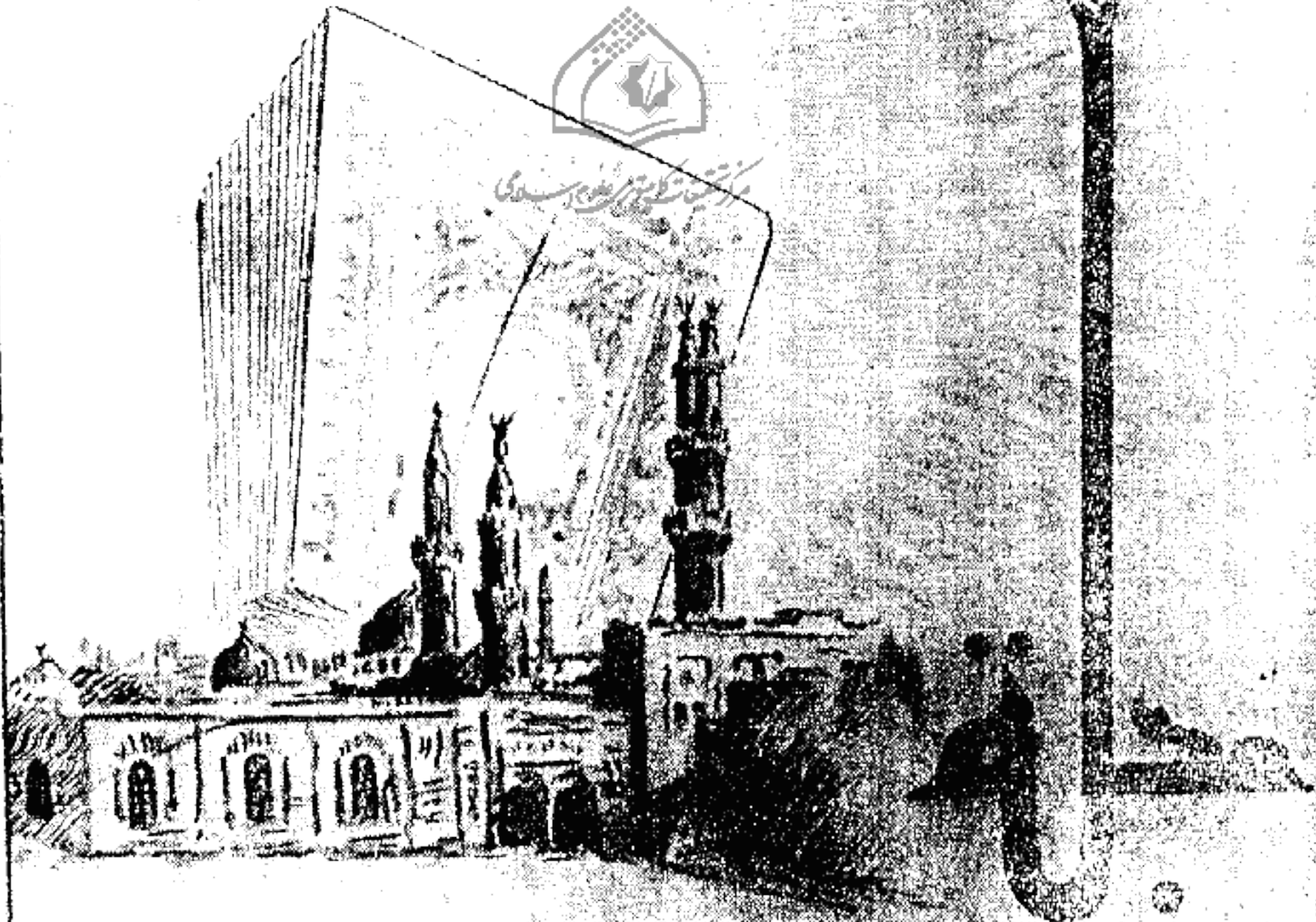
غرة رمضان سنة ١٣٧٤

١٥ / ١٦

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم



مكتبة العربية



بسم الخبير
 محب الدين الخطيب
 الاشتراك السنوي

في وادي النيل	٤٠٠
لطيفة وادي النيل	٤٠٠
للعمارة والمسرح بالوادي	٣٠٠
فناجح الوادي	٥٠٠
للطبعة فناجح الوادي	٣٠٠
للعمارة والمسرح فناجح الوادي	٤٠٠

مجلة الأزهر

بمجله شهرية بجامعة
 تأسست من شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

شرف المجلة
 عبد اللطيف الشبلي
 عرضة لذكرا العلماء
 لالعنوان
 إدارة بجامع الأزهر بالقاهرة
 نيفون ٤٦٥١٤

القاهرة في غرة رمضان ١٣٧٤ - ٢٣ أبريل ١٩٥٥ - الجزء ١٥ و ١٦ - المجلد السادس والعشرون

بشر الله الخميني

الطريق الى فهم الاسلام

ألمت المجلة في هذا الشهر رسالة من شباب مسلم منقف ، يذكر فيها أنه يريد أن يفهم دينه فهما صحيحاً ، غير أنه في حيرة من أمره في اختيار الكتب التي تعينه على هذا الفهم . ويرشح علينا أن نفتح باباً في مجلة الأزهر بعنوان مكتبة المسلم ، نذكر فيه الكتب القيمة التي يجب أن يقتنئها المسلم ، مع توجيهات في هذا الموضوع .

والمسألة - أيها الشباب المسلم المنقف - ليست مسألة الكتب التي تفتني ، فالكتب أكثر من أن تحصى في مجلة ، والذين يقتنون الكتب يتفاوتون فيما يحتاجون إليه منها . ولقد شرح الله صدرى للتعهد معك في هذا الموضوع ، لأن هذا الدور مرّ على كثيرين من شباب الإسلام ، ولعلّي كنت واحداً منهم ، وقد تبين لي أن فهم الإسلام كما يتوقف على جودة الكتب التي يرجع إليها المسلم في فهم دينه ، يتوقف كذلك - بل قبل ذلك - على التجاوب القلبي والعقلي بين الإسلام والمسلم . فأول ما أنصح لك به أن تعد نفسك - أولاً - لهذا

التجاوب، وأن تكون لك نظرة إجمالية صائبة إلى الإسلام في جملة تدجلك في بيئة الأولى، وبدلاً من أن تنقل (العلم) بالإسلام من الكتب إلى عقلك وقلبك ونفسك، تنقل أنت بعقلك وقلبك ونفسك إلى بيئة الإسلام الأولى: فتحبه وتحبها، وتعيش في جوه وجوها، وتحري (العمل) بما تدفك هذه المحبة إلى (العلم) به من رسالة الإسلام وسيرة أهله الأولين، فالعلم بذلك - مهما قل - فهو كثير إذا كان الغرض منه العمل به، والنخلق بما يهدي إليه من أخلاق، والنطبع بما يرشد إليه من سجايا، والاستنارة بما يدل عليه من سنن، حتى تكون منه في طريق أهله الأولين كأهلك واحد منهم. ولم لا؟ وهذا أمر يسور لك، ولا يتوقف إلا على أن تريد وتعزم وأن تجد المنفعة والارتياح في هذه الإرادة وهذا العزم.

إن القرآن - كتاب الله - هو المرجع الأول للمسلم في فهم الإسلام، وكانت طريقة الصحابة في تعليمه لتلاميذهم من التابعين أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات أو نحوها لم يجاوزوها إلى غيرها حتى يذوقوا من حفظها، ويقوموا السنن بعربيتها، ويحسوا تلاوتها، ويعرفوا ما فيها من أحكام، وأخلاق، وتوجيه اجتماعي ثم أن (يعملوا) بذلك في أنفسهم، وفيما لهم عليه سلطان من بيتهم. وقد فهمنا ذلك مما رواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب ابن ربيعة السلي تلميذ أمير المؤمنين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأضرابهما من علماء الصحابة كعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب. فالعلم بالقرآن كان للعمل به، ولولا ذلك لكان القرآن حجة على من يتلوه، ورث نال يلمنه القرآن.

وإذا اخترت لنفسك عشر آيات من القرآن وأردت أن تدرسها على طريقة الصحابة والتابعين فاذهب إلى تفسيرها في (جامع البيان) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، فإنه سيستعرض لك مذاهب الصحابة والتابعين وأهل القرون الثلاثة الأولى فيما فهموه من هذه الآيات، وقد تظن في مذاهبهم الكثيرة معنى الاختلاف، وما هو من الاختلاف في شيء، لأنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد. وإن مثل القرآن في هدايته كمثل الشمس في إنارتها، فهي تير بما لا يحصى من أشعتها المرسله إلى دنيانا من جميع أطرافها: فكما نور، كما أن مفهوم القرآن كله هداية، ولذلك كان رسالة الله العامة إلى الإنسانية في كل زمان ومكان. وإذا أردت المزيد فاذهب إلى تفسير هذه الآيات العشر نفسها في (الجامع لأحكام القرآن)

لابن عبد الله القرطبي الانصارى . واقرا مع ذلك تفسيرهم في تفسير الحافظ ابن كثير ، واختم دراستك إن شئت بما ورد عن تفسير تلك الآيات في تفسير المنار ، فهو تفسير عصرى جيد جامع لكثير من المزايا . وستخرج بعد ذلك بعلم نافع إن شاء الله . ولن يكون نافعاً إلا إذا عملت بما علمت منه كما كان يصنع الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان . ولا تستكثر على هذه الآيات العشر أن تقرأ لها كل هذه الكتب ، وأن تمضى في تدبرها كل هذا الوقت ، فإن القرآن أنزله الله لذلك (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) ، (أفلا يتدبرون القرآن) ، (أفلم يدبروا القول) . قال أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي : عرضت المصحف على ابن عباس ، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها . وروى مالك بن أنس أن عبد الله بن عمر بن الخطاب أقام على حفظ سورة البقرة عدة سنين ، قيل ثمان سنين . فالرعيل الأول من المسلمين كانوا لا يعنون بالإكثار من العلم إلا بعد إتقان ما يعملونه منه .

والذ طريقة لفهم الإسلام في بيئته الأولى تتبع تراجم الصحابة من كتبها : كالإصابة للحافظ ابن حجر ، وأسد الغابة لابن الأثير ، والاستيعاب لابن عبد البر ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، وتاريخ دمشق لابن عساكر . وقد نفعني الله كثيراً بدراسة حياة الصحابي الواحد من أمثال هذه الكتب ، فأرتب أخباره بحسب تسلسلها التاريخي من بدء حياته إلى نهايتها . وإذا عرض لي في هذه الاخبار اسم بلد ذهبت إلى معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكري فتصورت منهما موقع ذلك البلد وحالته كأنى ساكن فيه ، وإذا وقفت في حياة ذلك الصحابي على ذكر وقعة من وقائع التاريخ رجعت في تفاصيلها إلى تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وأمثاله ، وإذا وقعت للصحابي أحداث أو أحاديث مع شخصيات أخرى معاصرة له أبادر إلى معرفتها من مظانها حتى أكون كأنى معها في أوطانها وميادين نشاطها . وهكذا كنت كأنى أرى ما يفعل هؤلاء البررة الاخبار ، وأسمع ما يقولون ، وأراقب نشاطهم ، وأصغى إلى أمانتهم ، وأنالم لآلامهم ، وأنعلم ما تعلموه من معلم الناس الخير عليه السلام . وقد أتوسع في ذلك فأذهب إلى مسند الإمام أحمد فأندير ما رواه التابعون عن هذا الصحابي من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذلك أعيش مع الإسلام في بيئته الأولى كما كان يعيش فيها رجاله الأولون ، وما أهمل ذلك

وألذه وأنفعه . ولولا التجاوب العقلي والقلبي بين المسلم والإسلام في بيئته الأولى لسكننا محرومين لذة العيش مع أهل الصدر الأول ، وكنا نكون تائهين في بذيات الطريق ، منحرفين عن الطريق الأعظم الذي بعث الله به خاتم رساله بأكمل رسالاته .

كما أن الإنسان عدو ما جهل فإنه صديق ما يعلم ، وحرصنا على معرفة الصحابة كأننا معاصرون لهم وسائرون في قائلتهم ، يغررنا محبتهم في قلوبنا ، ويجعلنا على طريقهم في الدين والمعرفة والأخلاق والأهداف ، ومتى تم لك ذلك أيها الشاب المسلم المثقف فإنك لن تحتاج إلى "ولا إلى مجلة الأزهر في أن تدلك على الكتب التي يجب أن تفتنيها ، بل ستعرف ذلك من نفسك ، وستعرف أئمة الإسلام الذين يدلونك على الإسلام ، وستعرف قيمة مؤلفاتهم وعلومهم وتوجيهاتهم . واعلم أن كل ما تستطيع أن تأخذه عن إمام قديم من الموثوق بعلمهم ودينهم فذلك خير لك من أن تأخذه عن بعده ، لأن المساء كلما قرب من ينابيه الأولى كان أصفى وأطهر وأروى . ومع ذلك فإن من الامثال التي تتداولها السنة العلماء قولهم "لا يغنى كتاب عن كتاب ، فطالب العلم بعد أن يعرف معالم الطريق الذي هداه الله إليه ، وبعد أن تملأ محبة الإسلام وأهله الأولين شغاف قلبه ، فإنه لن يضره أن يقرأ كل شيء ، وأن يطلع على كل كتاب ، وأن يعرف مذهب كل صاحب مذهب . ولولا أني كنت أقتنى كتب البهائية - وهي أحدث ما وقع للبشر من كفر وضلال - ما استطعت أن أعرف قرأني بهذا الكفر والضلال ليتقوا شره ويحتفوا بخادعة دعائه . غير أن ذلك لا يجوز إلا بعد أن يعرف الشاب المسلم المثقف معالم إسلامه ليستطيع الرجوع إليها وبلجا في دينه إلى قلاعها . ولذلك كان أول ما يجب أن يبدأ به الشاب المسلم المثقف أن يحب الإسلام وبيئته الأولى والصدر الأول من دعائه وهداياته وبجاهديه حتى كأنه يعيش معهم ، وبذلك يتم له الأانس بما أكرمهم الله به من إقامة الحق وتعميم الخير والتعاون عليه ، فيكون ذلك خلقا من أخلاقه كما كان خلقا من أخلاقهم ، ويعرف به دين الله الذي اختاره لخير أمة أخرجت للناس ، ويوشك أن يكرمه الله بأن يجعله منهم ، وأن يكثر في هذا الجيل من أمثاله فيكون ذلك بداية للبعث الإسلامي المرغبي ، وما ذلك على الله بعزيز .

حسب الدين الخطيب

نَفَاكُ الْفِرَانِ

- ٢٨ -

المراء... والمباهلة

والحق من ربك ، فلا تكن من الممترين ،

١ — ليس عجيبا أن يكون في الدنيا حق وباطل ، وليس عجيبا أن يكون للحق دعاة واتباع ، وللباطل غواة وأشباع . . . لحكمة الله جرت بيننا على أن تكون حياتنا العقلية معرضا للخلاف والاتفاق ، وأن تكون الحياة الدينية كذلك سجالا بين الحق والباطل ، وأن يسلك الناس في تفكيرهم واختيارهم سبلا متعددة ، وأن يتنازعوا الأمر فيما بينهم ، حتى ينهض فيهم حكم العقل ، أو يفصل بينهم حكم الدين .

ولكن العجيب من شأن الناس أن يأخذ بعضهم اللجاج حتى لا يهتدوا بعقل ، ولا يستجيبوا للدين .

وتلك هي الضلالة التي ينفخ فيها الشيطان من نفثاته ، ويدفع بهم إلى أغوارها حتى يئثر الشيطان لنفسه من آدم بما يصنعه في نبيه من تنازع وشقاق ، وصرف عن الهدى ، واقتياد إلى الهلاك ، إن الشيطان للإنسان عدو مبين . .

٢ — وفي معرض الخلف بين الدعاة والمدعوين نذكر حديث المراء والمباهلة بين النبي محمد — صلوات الله وسلامه عليه — ونصارى نجران من عرب الجزيرة ، فقد استعصوا على دعوة الإسلام ، ونصبوا أنفسهم للجدل ، واسترسلوا فيه ، حتى في الوقت الذي أصبحت الإسلام فيه قوة عليهم . . وأصبح يسيرا أن يغلظ عليهم المسلمون لو كانت دعوة الإسلام تؤثر القوة ، وتجنح إلى العنف ، ولا تأخذ بالحسنى .

ولكنها دعوة الحكمة ، والموعظة الحسنة التي أمر الله بها نبيه .

طال الجدل بين هؤلاء ومحمد في شأن عيسى عليهما الصلاة والسلام ، ولم يرض أهل نجران ، ولم تهدهم عقولهم إلى تصديق محمد فيما أوحى به الله إليه ، ولم يعفوا أنفسهم من اللجاج والشطط ، فكان من رفق الإسلام في دعوته ، ومن تأييد الله لنبيه ، أن يدعوهم إلى المباهلة معه . . . والمباهلة : هي ضراعة العبد إلى ربه بالدعوات : خيرا كانت أو شرا ، ولكنها في هذا المقام دعوات إلى الله أن ينزل لعنته وغضبه على الكاذب من الفريقين .

(فن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، قل : تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبينل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) .

٣ — وإذ كانت المباهلة دعاء إلى الله : لا حرباً تجردهم ، ولا شيئاً آخر يخشون مشقته

عليهم ، فأيس يضير أهل نجران أن يباهلوا محمداً كما طلب .

بل إذا كانت الدعوات مناجاة لله من عباده الأبرار ، وكان أهل نجران لهم صلة خاصة بالسماة ليست لمحمد ولا لغيره ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه كما يقولون ، فأيسر الأمور عليهم ، وأحبها إلى نفوسهم ، أن يسارعوا إلى المباهلة ، يتجهون بها إلى من في السماة لينصرهم على محمد فيما اختلفوا فيه ، ويرفع من شأنهم بإهلاك خصمهم هذا ، حتى لا ينكر عليهم أحد بعد . وتكون هذه المباهلة أقرب السبل إلى الغلبة على محمد وسواه إن كانوا هم الصادقين .

٤ — ولكن وفد نجران الذين كانوا يترددون على محمد ، ويحملون إلى قومهم ما سمعوا ، ويلغونهم ما قالوا ، لم يأنسوا من أنفسهم طمأنينة إلى صدقهم في مزاعمهم ، ولم يجدوا لديهم الشجاعة في قبول المباهلة ، ولا تهضت بهم عقولهم أن يتخلوا عن المسكارة ، ويستجيبيوا للدعوة الحقنة الرحيمة التي ردها عليهم محمد ، فراعوا في موقفهم ، وطلبوا إلى محمد أن يمهلم أيا ما قلائل ، ريثما يتشاورون ، أو يحضرون إليه في موعدهم مع من يرافقهم من أبناء ونساء للمباهلة .

وصاحب الحق لا يضيق صدره لمثل هذه المحاولة ، بل يرى من المطاولة في الرفق ، ومن المزيد في الإقناع بصدق دعوته ، أن ينفس عن خصومه ، وأن يشعرهم بأن المسئلة مسئلة هدى وإرشاد : لا مسئلة تحكم وعناد .

ومن شأن ذلك في نهايته أن يكون أوضح للحجة ، وأقطع للمعذرة .

لذلك أجاهم في طلب المهلة ، وانصرفوا إلى وجهتهم .

ولما خلا بعضهم إلى بعض كان مما رآه أن يستشيروا أوليائهم من اليهود ، فأشاروا عليهم أن يصالحوا محمداً على الجزية ، وحذروهم الملاعنة لما يعرفونه في التوراة من علامات الصدق التي تتوفر كلها في محمد وفيما يقول به ، ويدعو إليه .

وإذ حان موعدهم ، ورجعوا إليه ، وجدوه قادما ، وفي صحبته أقرب أهله إليه ، وأعزهم عليه ، وهم : علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين - رضی الله عنهم - وكان النبي - صلوات الله عليه - عظم أهله هؤلاء ما يفعلون معه حينما يجتمع بوفد نجران بقوله : « إذا أنا دعوت فأمنوا أنتم ،

ولكن الوفد النجراني لم يكذب بشارف الموقف ، وبرى عن كذب محمدآ في أهله مطهئين إلى ما جاءوا بسبيله ، فرحين بما أقبلوا عليه حتى وجلت قلوب النجرانيين ، واهتزت فرائصهم ، وقال لهم أسقف - كان معهم - : يا معشر النصارى ، إنى لارى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله . فلا تباهلوا وتهاكبوا .

في ضوء هذا تخير أهل نجران لأنفسهم أيسر الأمور عليهم . وانتهى بهم التردد - أولا - ومشورة اليهود عليهم - ثانياً - ونصيحة الأسقف - ثالثاً - إلى مصالحة محمد على الجزية ، يجمعونها من أموال متنوعة ويدفعونها كل عام .

وكان من مراحم الإسلام التي يعترف بها المنصفون من خصومه أن يقبل الجزية بمن لم يكن يسارع إلى الدخول فيه . ليظل على عقيدته الأولى غير مكره على هذا الدين الجديد ، ولتكون لديه الفرصة فسيحة حتى يراود نفسه في القبول للدعوة الحققة ، أو في النضحية بما يستطيعه ، ليصلح به أهل الدعوة الجديدة من شؤونهم ، ومن مرافقهم التي ينتفع بها معهم أهل الجزية ، وليعيشوا في ظل ظليل من عدالة هذا الدين وحمايته لهم كما يحمى أهله وأولياءه مما يحيق بهم ، أو يخشون مساسه من عدوان المعتدين عليهم في وطن ، أو نفس ، أو مال .

هذا : ولم تكن دعوة محمد لأهل نجران أو سواهم مجافية لدعوة الانبياء من قبله ، بل هو يأخذ الناس بما يأخذ به نفسه ، ويجدد فيهم عقيدة التوحيد ، ويسمو بهم عن الاباطيل التي رانت على القلوب ، وصدنت بها العقول ، وينذركم بأن شأنه فيهم كشأن الرسل فيما دعوا إليه قديماً . ويكرر فيهم : قل ما كنت بدعاً من الرسل ... إن أتبع إلا ما يوحى إلى ... ، و شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم ، وموسى ، وعيسى : أن أقيموا الدين ، ولا تفرقوا فيه .

وهكذا من آيات القرآن التي تتجاوب مع الفطرة ، وتؤكد - في غير هوادة ولا شبهة - أن الانبياء جميعاً على أصل واحد ، ليس فيهم من ترك ثغرة في دعوته ، أو نزح إلى طريقة غير طريقة أسلافه ، أو أذن لمن يتابعه أن يدخل في دعوته ما ينحرف بها عن جادة الانبياء جميعاً ، أو يناوئ بها أصلاً من أصول الدين في تحايل أو تحريم .

والانبياء جميعاً أناس بعثوا إلى الناس يبلغونهم دعوة إله واحد لا شريك له ، وليس في الانبياء من تأله على الناس ، أو انتحل نسباً إلى الله ، وإنما فعل ذلك أناس طغاة جبارون كفرعون ونحوه . وهؤلاء ليسوا من الله ولا من الأدب مع الله في شيء .

وحاشا للأنبياء أن يغيروا أو يبدلوا .

غير أن الناس كما عهدناهم ، وكما قصت علينا كتب السماء ، وكما أسلفنا في صدر حديثنا هذا ، كثير أما يشذون عن حكم العقل ، ولا يتصاعون لحكم الدين .

وقد كان الشذوذ من أهل نجران وأضرابهم مسبوقا بشذوذ من آخرين .

وكان من وسائل الدعوة المنصفة التي انتهجها معهم دائما محمد عليه الصلاة والسلام - غير المباهلة - أن يصارحهم بأن يكونوا معه وأن يكون معهم على عقيدة واحدة ، وأنه لا يفرض عليهم غير الحق الذي يزعمون أنهم عليه ، وأن يناشدهم بدعوة الكتب السماوية التي ينتفون إليها ، ويركز في عقولهم أنه غير جاحد لما فيها ، بل هو مجدد لها غير متوبة بما انحدر إليها من أوضاع موضوعة ، وأمور مصنوعة . فكان يقول : (يا أهل الكتاب : تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا آربابا من دون الله) . فهذه مساواة كاملة في الوقوف من الله موقف العبودية ، دون أثره ولا إثارة ، ولا سيد ولا مسود ، ولا استسلام تابع لمتبوع .

والله يعلم نبيه - إذ لم يستجيبوا لهذه الدعوة التي فيها تنزيه لعقولهم وأفهامهم ، وفيها تكريم لإنسانيتهم ، وإكبار لالوهية خالقهم ، وفيها تبرئة للأنبياء مما نسب إليهم ، وفيها أخذ بجانب الحق الذي يستوي الجميع أمامه ، ولا يختص به فريق منهم - إذ لم يستجيبوا لذلك وتولوا عنه في جدلهم المعمود ، وتصيودهم المؤلف : فليطع الحديث معهم .

وأنت ترى من هذه الأمثلة في أدب الدعوة إلى الله ، وفي إفساح الصدر للعارضين ، حتى تقف حججهم ، وينكشف عجزهم ، وكيف كان المرء وسيلة إلى الباطل من أهل نجران أو سواهم ، وكيف كانت الحكمة في الدعوة والموعظة الحسنة وسيلة الداعي إلى الحق ، وكيف ينتهي به الجدل معهم إلى الاعتصام بدينه ، والوقوف عن مجاراتهم ، وتركهم إلى ما وراء ذلك مما قدر الله في شأنهم .

ومن أجل ذلك كان من تعاليم الإسلام ترك المرء ، فإنه استدراج من الشيطان إلى ما يبعد بالمرء عن الصواب ، ويمعن في الباطل عنادا وصلفا .

ومن أجل ذلك قال النبي ﷺ : « أنا زعيم بيت في أعلى الجنة لمن ترك المرء

وإن كان حقا ، . ولعل لنا من هذه عبرة وأسوة ؟

عبد المظيف العيسى

عضو جماعة كبار العلماء

السياسة

راية الاسلام

- ٣ -

ذكريات --- آلام وآمال --- خير ويهودها -
 بشارة نبوية --- خربت خير - أسرار وحكم -
 من أعلام النبوة --- ساعة قبل قيام الساعة -
 ألا رجل يحب الله ورسوله ... يفتح الله على يديه !

عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر :
 لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . قال :
 فبات الناس يدوكون ليلتهم : أيهم يعطاها . فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 كلهم يرجو أن يعطاها ؛ فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يا رسول الله يشتكى
 عينيه ! قال : فأرسلوا إليه ، فأتى به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعاه ،
 فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاها الراية . فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا
 مثلنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ،
 وأخبرهم بما يحب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك
 من أن يكون لك حمر النعم .

رواه الشيخان واللفظ للبخارى .

...

يدوكون : يخوضون ويهوجون ، ومنه وقع الناس في دوكة ، بفتح الدال وتضم .

انفذ على رسلك : امض على هيفتك متشداً غير عجل ، ففي الأمانة سلام وحكمة .

حمر النعم : هي الإبل الحمراء ، أعز أموال العرب وأكرمها عليهم ، ومن هنا ضربوا

المثل بها في نقاسة الشيء وعزته .

• • •

في ذكرى الإسراء والمعراج رفع العلم الإسلامي المصرى على أعز ثغر من ثغور مصر ، وقبل هذه الذكرى وبعدها تكرر عدوان أشد الناس عداوة للذين آمنوا على ثغر آخر من ثغورها المحدث بنا ذكريات الآلام والآمال ، إلى إرجاء ما وعدنا به في الجزء السابق والكتابة في حديث هذه الراية التي رفعها الله ، ونصر في ظلها عباد الرحمن على عبيد الشيطان ، ولينصرن الله من ينصره إن الله أقوى عزيز .

• • •

قدم رسول الله ﷺ المدينة على أثر صلح الحديبية ، ومكث بها عشرين ليلة أو قريباً منها ، ثم خرج إلى خيبر ، وكان الله عز وجل وعده إياها في سورة الفتح ، وقد نزلت مرجعه من الحديبية .

وخيبر واحة كبيرة خصبة ، ذات حصون منيعة ، ومزارع وفيرة ، ونخل كثير ؛ ولا يجتمع سكانها في صعيد واحد ، بل يتفرقون في وديان متقاربة ، ويقيمون في بيوت محصنة ، تحيط بها النخيل وحقول القمح ؛ وتقع خيبر على نحو مائة ميل من المدينة إلى جهة الشام

وكانت خيبر - كسائر بلاد اليهود قديماً وحديثاً - وكراً للدساتس والفتن التي يطيرونها في الناس كافة ، والعرب منهم خاصة ؛

وكان يهود خيبر أعرق اليهود في الخداع والمكر ، حتى ضرب بهم المثل في ذلك ، وكانوا إلى هذا الحبث رجالاً أشداء محاربين ذوى بأس . . .

• • •

كان هؤلاء الخونة الفجرة أشد من هيج الأحزاب وأتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في غزوة الخندق ، فلم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من القضاء على هذه الأفاعى السامة ، والشياطين الماردة ، وهكذا أعد صلوات الله وسلامه عليه العدة لقتالهم ، وأبلى هو وأصحابه بلاء مبينا .

وهكذا صدقهم الله وعده إذ قال : **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فمجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للذميين ويهديكم صراطا مستقيما ، واستجاب دعاء رسوله لما دعاه وقد أشرف على خيبر بعد مسيرة ثلاثة أيام : اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها .**



فلما كان يوم خيبر وعزم الأمر ، أخذت النبي صلى الله عليه وسلم الشقيقة - وهي ضرب من الصداع شديد - فلم يخرج يومئذ ، فأخذ الراية الصديق وقاتل قتالا شديداً ، ثم رجع ولم يفتح له ، فلما كان الغداة أخذها الفاروق وقاتل قتالا أشد ثم رجع ولم يفتح له ، واستشهد محمود بن مسلمة ، فقال صلوات الله عليه : **لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، لا يرجع حتى يفتح الله له ، وقال لمحمد بن مسلمة : يفتح الله على يديه فيمكنه من قاتل أخيك !**

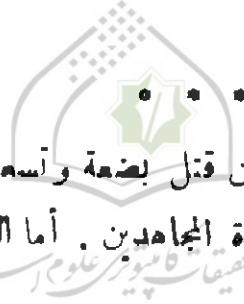


بات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لياليتهم يموجون وبخائفون ويتمنون ، فما من رجل منهم عامة ، والمقربين من رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، إلا تمنى أن يكون ذلك الرجل ، حتى قال عمر رضي الله عنه : **ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، ولم لا وهذه ثمادة المعصوم صلوات الله عليه ١٢ إنها لشرف ليس وراؤه شرف ، ومنزلة لا تضارعها منزلة .**



ولما كان الغد بعث صلى الله عليه وسلم إلى ابن عمه علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وكان أرمداً شديداً الرمد لا يبصر ، لجنى به وقد عصب عينيه ، فتنفل فيهما أو في راحته صلوات الله عليه ، ودعاه فبرأ كأن لم يكن به شيء (١) وكان من دعائه له : اللهم اكفه الحر والبرد ، فلم يرمد رضى الله عنه قط حتى مضى لسبيله ، وكان يلبس في الحر الشديد الثوب المحشو الثخين ، فلا يبالي ، ويلبس في البرد الشديد الثوب الخفيف ولا يبالي !

وبعد أن عقد لعلي لواءه صلوات الله عليه ، وأوصاه بما يوصى به أمراء الجيش من الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والالفة في القتال إلا إذا لم يكن من الجد في القتال بدءاً ؛ بعد هذا مضى سيف الله على بركة الله وهدى رسول الله ، ولم يزل الجيش بقيادة أميره يفتقل بإذن الله من نصر إلى نصر ، ومن فتح إلى فتح ، حتى حربت خيبر ، وساء صباح المنذرين ...



وانجحت هذه الموقعة الكبرى عن قتل بضعة وتسعين من عدو الله وعدو الناس أجمعين ، واستشهاد بضعة عشر من سادة المجاهدين . أما الغنائم فسل عنها التاريخ . . . ولا يفتك مثل خيبر . . .

وإذا حُتِّب إلينا أن نلتبس حكمة الله في الفتح على يدي علي دون صاحبيه ، وهما مقدمان في الإسلام عليه ، أصبنا من هذه الحكمة عجباً !

إن علياً من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى كما أخبره بذلك لما استخلفه على المدينة في غزوة تبوك ... وإنه علم من أعلام أهل البيت . . . وقد خرج من المدينة وهو أرمداً ، وكان له العذر الحق أن يتخلف ، ولم يكن ليدور بخلفه أن يطمع في الإمارة أو يتناول إليها ، ولم تكن إمارته لتخطر على بال أحد ؛ وأشد ما يغضب اليهود أن يجعل الله مدلتهم على أيدي المسلمين كافة ، وعلى يد النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته خاصة ؛ فأراد الله

[١] من غريب المصادقات أن اكتب هذا الحديث وأنا أرمداً ، وأسلمه للمجلة وقد من الله بالشفاء .

العلی القدير أن یجمع إلى معجزة من معجزات كتابه ، آیات مبینات علی صدق نبیه وإکرام أهل بیته ، وإن ینقص ذلك كله . من قدر الشیخین ومکانهما شیئا .

* * *

أما بعد ، فإن العالم كله ترقیه وغریبه یوج فی هذه الأيام ویضطرب ، وللیهود - قاتلهم الله - فی هذا الموج والاضطراب ، موافق فتن ، ومراحل إحن ، ومکید عداوة ، وإن یتهدأ العالم يوما حتى یقضى علیهم فیموتوا ، وإن ساعتهم - قبل أن تقوم الساعة - لآتیه لا ریب فیها ، وسیخربون بیوتهم بأیدیهم وأیدی المؤمنین آخرا ، كما كانوا یخربون بیوتهم بأیدیهم وأیدی المؤمنین أولا . هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، . وإن لنا إن شاء الله کرمة علیهم ثم کرمة .

* * *

وإذا قضت حکمة الحاکم العلیم أن یجعل بعض الناس لبعض فتنة ، فقد قضت حکمته جل وعلا أن یجعل شر مده الفتنة أكبر مجرمها من هؤلاء الکفرة الفجرة ، الذین قالوا سمعنا وعصینا وأشربوا فی قلوبهم العجل بکفرهم ، فأنهم الله وغضب علیهم وجعل منهم الفردة والحنازیر . ثم تأذن لیبرئ علیهم إلى یوم القیامة من یسومهم سوء العذاب .

ولا نقصد الآن إلى تفصیل أخبارهم ؛ فإنها طويلة الذیل ، وكلها شر لا خیر فیها ، وعدر لا وفاء مده ، ومکر سبی یحقیق بهم کل حین ، دون أن یتعظوا أو یرعوا ، وأنی لهم ذلك وقد قست قلوبهم فیهی كالحجارة أو أشد قسوة ١٩

ولمّا الذى نقصد الآن إليه ، ونستعین الله علیه ، أن ین علی هذا العالم الإسلامی المستضعف ویرید به خیرا فیمنعه الجدل ، ویمنحه العمل ، ویجعل له من عدوه الاله واعظا ومعتبرا ، ثم یعطى الراية المحمدية رجلا أو رجلا منهم یحبون الله ورسوله ، ویحبهم الله ورسوله ، یفتح الله علی أیدیهم ، وینصرهم نصرا عزیزا مؤزرا .

والذى ینه الخیر وهو علی کل شیء قدير ، إنه لفاعل ذلك وخیرا من ذلك ، إذا غیرنا ما بأنفسنا ، ونصحننا لله ورسوله ، واعتصمنا بحبل الله جمیعا .

مقارنة

بين العدالة التشريعية في القوانين الوضعية

والرأى في التشريع الإسلامى

كلما نشط علماء الفقه الحديث في بحث القوانين الوضعية ظنوا أنهم ظفروا من أبحاثهم بآراء وأفكار تستحق الإعجاب وتثير الدهشة لظرافتها وجدتها ، وهم لبعدهم عن الشريعة الإسلامية ولعدم اهتمامهم بالتمعق فيها يظنون أن الشريعة الإسلامية خالية من تلك الآراء والأفكار . وقليل منهم يقصد إلى الغوص في التراث الفقهى الإسلامى باحثاً ومنقياً عما وصل إليه التفكير الإسلامى في الميدان التشريعى . وعن امتدبت إليه من هؤلاء القليل الدكتور على بدوى في مؤلفه « أبحاث التاريخ العام للقانون » في الجزء الأول في بحث مبادئ العدالة . فقد تعرض في مؤلفه لمبادئ العدالة وتعريفها ومدى تأثيرها في القانون الرومانى ، والقانون الانجلى سكسونى .

وبعينا من هذا البحث معرفة العدالة التى اصطلح عليها الباحثون في القانون ومقابلتها بالرأى عند علماء الفقه الإسلامى ، فتراه يعرف العدالة بأنها « القواعد القائمة إلى جانب قواعد القانون الاصلى مؤسسة على وحى العقل ، والنظر السليم ، وروح العدل الطبيعى بين الناس . والنى ترمى إلى تعديل قواعد القانون أو أن تحل مكانها بفضل ما فيها من القوة المعنوية المستمدة من سمو مبادئها .

وقد عمت هذه الوسيلة الشعوب التى تطورت شرائعها في العصور القديمة واستقت مبادئها من مصدر واحد وهو العقل ، وشعور العدل في النفس ، ولكن هذا المصدر اتخذ باختلاف الشعوب صوراً مختلفة : فقد كان مصدر العدالة عند الرومان « قانون الشعوب » ، وكان مصدرها عند اليونان « قانون الطبيعة » ، ثم أصبح هذا القانون الطبيعى صورة لمصدر العدالة عند الرومان منذ بدء العصر العلى ، وكان مصدرها عند الإنجليز ضمير الملك .

أما مصدر العدالة في الشريعة الإسلامية بمد الكتاب والسنة والإجماع فهو العقل وحكمة التشريع في الإسلام . ولما ظهرت في الإسلام حالات جديدة لم يرد هما نصوص خاصة في الكتاب والسنة ، اعتمد الفقهاء على قياس غير المنصوص على ما ينطبق عليه مما ورد فيه النص ، وقد وصل المجتهدون والفقهاء في خلال عصور الشريعة الإسلامية إلى أسمى وأعظم وأحكم مما وصل إليه فقهاء الرومان من مواجهة الحالات الجديدة ، بنشاط فتمهي أفضى إلى تعديل بعض القواعد الفقهية : إما بتوسيع نطاقها أو بتخصيص حكمها أو بإضافة مبادئ جديدة إليها تبعاً لتطور المجتمع والشعور بالعدالة النفسية ، وتلك العدالة قد أرشد إلى مبادئها العقل وحكمة التشريع المستمدة من روح النصوص ومعانيها ومن تطور الحياة الاجتماعية ونمو العرف والعادة التي أطبق فقهاء الإسلام على اعتبارها والنظر إليها عند استنباط حكم الحادثة التي وجدت في الحياة الاجتماعية الإسلامية . وقد أطلق على هذا الأسلوب وتلك الطريقة في الشريعة الإسلامية اسم « الرأي » . وبدأ العمل به من عهد الخلفاء الراشدين بل من عهد النبي ﷺ كما يرى ذلك الإمام ابن القيم ، فأصبح مصدراً من مصادر الأحكام الشرعية ، وبعمر الزمان وتجدد الحوادث والوقائع اتسعت دائرة في العصور المتتالية تبعاً لتجدد أحوال الناس التي تبعها نمو وازدياد في الأحكام الفقهية .

ونحن في هذا المجال إذ وصلنا إلى الميدان الفسيح في التشريع لا نرى حاجة إلى التذليل على الكثرة الغالبة من الأحكام الشرعية التي ثبتت بالقياس ، فبطون الكتب الفقهية من جميع المذاهب المختلفة مليئة بالأحكام التي أثبتتها الفقهاء الإسلاميون بأرائهم واجتهادهم معتمدين تارة على قياس الأحكام عن طريق قياس غير المنصوص على المنصوص ، وتارة أخرى على قواعد عامة استنبطوها من روح التشريع الإسلامي وذلك مثل القواعد الإسلامية « لا ضرر ولا ضرار » ، « كلما ضاق الأمر اتسع » ، « ارتكاب أخف الضررين » ، « من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه » ، ومعتمدين أحياناً على قاعدة المصالح المرسله واستصحاب الأصل ونحوهما . وتمتاز قواعد العدالة ومبادئها في الشريعة الإسلامية عن غيرها من القوانين الوضعية بأنها لم تنشأ منفصلة عن أحكامها الشرعية ، وإنما بدأت من عهدنا الأول مندججة في أصول الشريعة وأحكامها بصفتها جزءاً منها غير مستقل .

وللرأى أقسام ثلاثة : أولها وأكثرها استعمالاً مستمد من روح المبادئ المنصوصة

في القرآن والسنة ، وقياسا على الأصول والأحكام الواردة فيها ، ويطبق على هذا القسم القياس . وثانها : الرأي الصادر عن جماعة المسلمين وأولى الحل بالعقد منهم وهو الإجماع ، وثالثها : ما يكون مجرد اجتهاد غير مستند لقياس ولا إجماع .

وأبرز الصحابة وأكثرهم استعمالا للرأي بجميع أقسامه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد حدثت أيام خلافته حوادث جديدة ومشاكل اجتماعية خطيرة لم يسبق وجود نص لها ، فالتصفت غيرته على المصلحة العامة وشجاعته في الحق أن يثبت أحكاما لهذه المسائل : فقد أعفى السارق من قطع يده في عام المجاعة ، وأوقع القصاص على من قتلوا واحدا ولو كثرت عددهم ، وأن يمنع المؤلفه قلوبهم عن نصيبهم في الزكاة ، لأن الله أعز الإسلام وأغنى عنهم . وقرر أن تبقى الأراضى المفتوحة عنوة بأيدي أهلها مع ضرب الخراج عليهم دون أن تقسم الأراضى على الغزاة باعتبارها غنائم .

من ذلك يرى أن العدالة الاجتماعية والرأى لفظان مترادفان يدلان على معنى واحد ، وقد وجد هذا المعنى في الشريعة الإسلامية كما وجد في غيرها من الشرائع الحية الراقية التى يفخر بمبادئها علماء التشريع الحديث . ونحن واثقون من أن الشريعة الإسلامية بذت كل عنصر من عناصر الحياة التشريعية للأمم الراقية المتحضرة مهما بلغت حضارتها ومهما كان تقدمها وارتقاؤها .

والشريعة الإسلامية لا يضيرها تقصير الباحثين وعدم وقوفهم على كنوزها وما فيها من عناصر القوة في العدالة والمرونة في التشريع ، وصلاحياتها لسكل زمان ومكان ، وهى جديرة بأن تتمثل بقول الشاعر العربي :

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

عبد الله مصطفى المرافى

نظرات في كتاب :

المصلحة في التشريع الإسلامي

يعد موضوع : « المصلحة في التشريع الإسلامي » ، من الموضوعات المجهولة لكثير من عامة المسلمين ، لأن البحوث التي وضعت فيها قليلة ونادرة ، ولا تزال هذه « المصلحة » بحاجة إلى مزيد من الحديث الواسع المفصل عنها ، حتى يستبين لجمهور القارئ في المكتبة الإسلامية : ما هي المصلحة ؟ وما مدى مراعاتها ؟ وما هي شروطها ومواطنها ؟ وما موقفها من أدلة الكتاب والسنة والإجماع والقياس ... الخ .

ولذلك كان من الخير أن يتجه أخى البهانة الأستاذ مصطفى زيد المدرس بكلية دار العلوم إلى دراسة هذا الموضوع من جهتين : من جهة عرضه وبخه في نفسه ، ومن جهة التعرف إلى مذهب نجم الدين الطوفي المتوفى سنة ٧١٦ هـ في المصلحة ؛ وقد وضع في ذلك رسالة قدمت إلى كلية دار العلوم ، للحصول بها على درجة الأستاذية في الشريعة الإسلامية ، وقد تولت مناقشتها علنا في مساء السبت ٢٨ من شعبان سنة ١٣٧٣ هـ (أول مايو سنة ١٩٥٤ م) لجنة من السادة الأساتذة محمد الزفاف ومحمد أبو زهرة وعبد العظيم معاني ، ونال بها صاحبها درجة الماجستير (الأستاذية) في الشريعة الإسلامية ، بتقدير ممتاز مع درجة الشرف الأولى .

وقال فضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة عن هذه الرسالة : « ولاني لأشهد أني عندما ابتدأت أقرأ الرسالة بشعبيتها - أحسست بأنني أقرأ للكاتب قد استولى على موضوعه ، ورسم طريقه ، وحد حدوده ... يوغل أحيانا في سيره ، ويرفق أحيانا ، وهو في إيغاله ورفقه علم بأعلام الطريق وصواه ، قد يتعثر عندما يوغل ، ولما لا يلبث إلا قليلا حتى يقيله الله من عثرته ، فيسترد قواه ، ليسير في الطريق الجدد إلى أفصى مداها . »

وأريد أن ألقى على هذه الرسالة التي نشرت منذ حين نظرات الحظ فيها بعض الملاحظات ، ويشجئني على ذلك أخوتي للباحث الفاضل ، وثقتي بتواضعه وإخلاصه للبحث ، ورغبته في الوصول إلى الحقيقة ، وهو الذي يقول في ختام تقديمه لكتابه : « أما أنت أيها القارئ الكريم فهذه رسالتي أقدمها إليك ... لا أدعي أنها مبرأة من العيوب ، فإني لا أجد قد يصحبه التوفيق وقد يخطئه ؛ لكنني حاولت ما استطعت أن تضيف إلى العلم جديداً ، وأن تضع رعاية المصلحة حيث ينبغي أن توضع بين أصول الشريعة الإسلامية ... تلك الشريعة التي أراد الله لها أن تكون عامة دائمة ، لجعلها صالحة لكل زمان ومكان ، وجعل رعاية المصلحة من أسس هذه الصلاحية فيها وإحدى دعائمها ، فإن أكن قد وفقت فيما حاولت فللواحد الفضل ، »

وتوجه ملاحظاتي إلى تعليقات الباحث على « رسالة الطوفي في المصلحة » التي جعلها ملحقاً لكتابه ، وأول ما ألاحظه هنا أن الباحث اعتبر النسخ التي اعتمد عليها في نشر الرسالة أربع نسخ ، مع أنها في الواقع نسختان خطيتان ، هما الموجودتان بالخزانة التيمورية ؛ وأما الثالثة فهي مطبوعة الشيخ جمال الدين القاسمي ، والرابعة صورة مطبوعة مطابقة لمطبوعة القاسمي نشرتها المنار ، وهما متقولتان في الأصل عن نسخة مخطوطة عام ٧٥٦ هـ ، وأظن أن هناك فرقا كبيراً في النشر بين الاعتماد على النسخة الخطية وبين المطبوعة ، ولو أن الناشر رجع إلى أصل المطبوعتين لكان ذلك أقوم وأقيم .

ويحسن قبل أن نمضي في الملاحظات أن نتفق على أشياء : منها أن النص المخطوط يجب احترامه واعتباره ما دام له وجه بصححه ويجعله مقبولاً ، وأن التخطئة لا تأتي إلا عند الجزم بها وعدم وجود وجه للتصويب ، وأن الناشر إذا تعددت أمامه النسخ يختار من بينها أدقها وأصدقها ، ويجعلها أساس النشر ، ثم يعلق عليها بما يرامى له من مقارنة أو إصلاح . ويظهر لي أن أخى الباحث المفضل خالف هذه القواعد في مواطن من تعليقاته على رسالة الطوفي ، وأعتقد أن ذكر هذه المواطن مما يرضيه ، وهو رجل حقيقة يبحث عنها أنى وجدها ...

جاء في ص (١٦) من رسالة الطوفي عند ذكر أدلة الشرع هذه العبارة : « ... وعاشرها للعوائد ، وعلق الناشر على ذلك بقوله : « هكذا ذكر الدليل في (١ ، ب) أما في (ج ، د)

فقد ذكر بلفظ : العادات ، ولست أدري لماذا لم يفرق الناشر هنا بين العوائد والعادات ، ولماذا لم يختار كلمة العادات لأنها المناسبة هنا . فالعوائد هي الفوائد ووجوه الإحسان . والعادات هي ما يعتاده الناس .

وفي ص (١٧) يواصل الطوفي ذكر أدلة الشرع فيقول : « الثامن عشر لإجماع العترة ، ويعلق الناشر بقوله : « زادت في (ج ، و) : عند الشيعة ، ووقف . وكان يحسن أن يزيد فيذكر أن العترة هم الشيعة ، أو يذكر ما بينهما من عموم وخصوص . جاء في أساس البلاغة : « وعترة النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب ، وكل عمود تفرعت منه الشعب فهو عترة ، وأغصان الشجرة عترتها : عمود الشجرة . وفي العين : عترة الرجل أقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمه دُنْيَا : وفي حديث أبي بكر : نحن عترة رسول الله ويبيضته التي تفقأت عنه ، (١) » .

وفي ص (١٦) جاءت العبارة : « ورابعها إجماع أهل المدينة ، ويعلق الناشر بأنه أضاف كلمة (أهل) ؛ وأنا لأرى ضرورة لإضافتها إلى نص يجب أن تكون له حرمة ، فإن قولنا : « إجماع المدينة ، واضح الدلالة على أن المراد أهل المدينة ، على حد قوله تعالى : « وأسأل القرية ، : واللغة مبنية في صورها البليغة على الإيجاز والاختصار .

وفي ص (١٧) كان في أصل الرسالة هذه العبارة : « ثم إن قول النبي ﷺ : لا ضرر ولا ضرار ، يقتضى رعاية المصالح إثباتا ونفيا ، إذ الضرر هو المفسدة ، فإذا نفاها الشرع لزم لإثبات النفع الذي هو المصلحة ، لأنهما تقيضان لا واسطة بينهما . كان هذا هو الأصل ، فزاد الناشر كلمة المفسد ، وجعل العبارة هكذا : « ... يقتضى رعاية المصالح إثباتا والمفسد نفيا ، ولما وصل إلى كلمة (نفاها) رُجِحَ تذكير الضمير ورجعه إلى كلمة الضرر .

وعبارة الطوفي يمكن إبقاؤها كما هي دون فسادها ، ويكون الضمير راجعا إلى المصلحة ، لأن الشارع الحكيم قد ينفي مصلحة قليلة لرعاية مصلحة عامة كبيرة ، أو يكون المعنى أن الشارع يلاحظ المصالح ويرعاها في حالتها إثبات الخير ونفي الشر . دون تقييد الإثبات

والنبي بالمصالح وحدها ؛ وقد كان من الخير للناس لو أنه ذكر رأيه في تعليقه مع إبقاء النص على ما هو عليه .

وفي ص (١٩) يتحدث الطوفي عن المصلحة فيقول في الاصل : « وأما حدها بحسب المعرفة ، فيصلحها الناشر ، ويجعلها العرف ، ويعاق بقوله إن المعرفة ، جاءت في نسخة (١) وهو خطأ واضح . ولماذا يجعلها الناشر خطأً واضحاً ، بينما هناك احتمال لصحة المعرفة ، فهي كما تقول اللغة مصدر عرف ، فهي بمعنى المعرفة ، وأصل العرف هو المعرفة ١٩ .

وفي ص (٢١) جاءت عبارة : « وحجة الثاني أن كل من فعل فعلاً ... ، زاد الناشر من عنده (الوار) قبل كلمة (حجة) مع أنها غير موجودة في المخطوطتين ، والمقام لا يستلزمها ، لإمكان اعتبار الكلام مستأنفاً .

وفي ص (٢١) أيضاً هذه العبارة : « حجة الأولين أن الله عز وجل متصرف في خلقه بالملك فلا يجب عليه شيء ، ولأن الإيجاب يستدعي وجباً أعلى ، ولا أعلى من الله عز وجل ، . فيصلحها الناشر : « ... وأن الإيجاب ... ، ويعاق قائلاً : « في الفسخ الرابع : ولأن ، والسياق يقتضي حذف اللام ليتمكن العطف على (أن الله) قبله ، . ولماذا يقتضي - أى يستوجب - السياق ذلك ؟ ولماذا لا يكون من عطف الجمل المستقلة مع التصرف في التعبير ؟ وخصوصاً أن النص وارد في مراجع الناشر الأربعة ...

وفي ص (٣٠) كان في أصل الرسالة هذه العبارة : « وجه الاستدلال به أنه ورد بألفاظ كثيرة وروايات متعددة يبلغ التواتر المعنوي ، فأصلحها الناشر هكذا : « ... وروايات متعددة بلغت درجة التواتر المعنوي ، وقال : « وقد آثرت تصحيحها هكذا ، . وأقول : ولماذا هذا التصحيح والأصل صحيح ، والتقدير : وروايات متعددة هي كائنة ببلغ التواتر ، ومثل هذا التعبير في العربية كثير ...

وفي ص (٣١) ورد الحديث : « بد الله على الجماعة ، فأصلحه المؤلف هكذا : « بد الله مع الجماعة ، ونبه على ذلك الإصلاح في الهامش ، والأصل صحيح لا يحتاج إلى إصلاح ، فرواية الزمذني للحديث هي : « بد الله على الجماعة ، وإحدى روايتي الطبراني كذلك :

« يد الله على الجماعة ، . وهناك رواية ثالثة للطبراني هي : « يد الله مع الجماعة ، والشيطان مع من فارق الجماعة ركض ، . »

وفي ص (٣٢) كان أصل الرسالة قد ذكر الحديث : « من مات تحت راية عمية مات ميتة جاهلية ، فأصلح الناشر كلمة « عمية ، وجعلها « عصبية ، وعلق في الهامش بقوله : « رسمت هذه الجملة - لعله يعنى الكلمة - هكذا : عممه ، . »

وأقول إن كلمة (عممه) هذه هي (عمية) نالها قليل من تحريف الخط ، وفي النهاية لابن الأثير جاء الحديث : « من قتل تحت راية عمية فقتلته جاهلية ، قيل هو فعيلة من العاه وهو الضلالة ، كالتقال في العصبية والأهواء ، وحكى بعضهم فيها ضم العين (١) . »

وفي ص (٣٨) جاء في أصل الرسالة : « أن أحمد كان أحفظ لسنة ، فأصلح الناشر كلمة (لسنة) وجعلها (للسنة) بلامين ، وعلق بقوله : « في الأصل : لسنة ، بدون اللام وهو تحريف ، . ومن قال إنه تحريف ؟ ... ألا نقول : هو أحفظهم لقرآن ، وأرغام لسنة ، وأصفاهم لصديق ، وأحرصهم على صلاة ... ؟ »

وفي ص (٣٩) جاءت العبارة : « ومنها قوله لعائشة : (لولا قومك حديثو عهد بـإسلام لهدمت الكعبة على قواعد إبراهيم) وهو يدل على أن بنامها على قواعد إبراهيم هو الواجب في حكمها ، فتركة لمصلحة الناس ، . هكذا نشرت العبارة ، وعلق الناشر بقوله : « في الأصل لمصلحة التتالف ، وهو قد أصلحها بقوله : « لمصلحة الناس ، وظنى أن صحة العبارة هي : « لمصلحة التالف ، أو قصد تألف القلوب . »

هذه ملاحظات لم أرد بها عيباً ولا شيناً ، ولكنني أردت بها المشاركة في البحث عن الحقيقة ، ولعل لإبرادها مظهر من مظاهر العناية بموضوعها ، وإني لوائق من أن الاخ البعثة المفضل يسره أن يعرف الحق فيستمسك به ، وقد يكون من الخير تذكر هذه الملاحظات عند العودة إلى طبع هذه الرسالة التي أعتبرها مجموداً علمياً يفخر به صاحبه ، ويفرح له محبوه .

أحمد الترمذي

المدرس بالأزهر الشريف

من ذكريات رمضان

فتح الفتوح في الاسلام

في مثل هذا الشهر من العام الماضي كتبت مقالا بعنوان « شهر الذكريات الخالدة » عرضت فيه لذكريين حبيبتين إلى القلوب المؤمنة : ذكرى نزول القرآن ، و ذكرى غزوة بدر . وبقيت الذكرى الثالثة ، ذكرى فتح مكة بلد الله الحرام التي بهاتم النصر ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وقد وعدت القراء الأفاضل بالكتابة في ثلاثة الذكريات في مناسبتها ، وهأنذا أفى بما وعدت ، ومن الله التوفيق والفتح .

في السنة السادسة من الهجرة أراد النبي ﷺ وصحابته أن يمتروا ، فصددهم المشركون عن البيت ، وكانت (بيعة الرضوان) التي بايع فيها المسلمون النبي ﷺ على الموت ، ثم كان ما كان من (صلح الحديبية) الذي اتفق فيه الطرفان على المهادنة وعدم الاعتداء ، وكان من شروط الصلح أن يرجع النبي ﷺ وأصحابه من عامه - هذا ثم يأتوا في العام القابل فيدخلوا مكة معتمرين ليس معهم من السلاح إلا السيوف في القرب ، وأن من أراد أن يدخل في عهد النبي فليدخل ، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش فليفعل . فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش . وقد وفى النبي والمسلمون بما عاهدوا عليه قريشاً حق الوفاء ، لكن لم تلبث بنو بكر - حلفاء قريش - أن أغاروا على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ وأخذوهم بفتنة وهم على ماء لهم ، وأعانهم على غدرهم رجال من قريش . فما كان من خزاعة إلا أن أرسلوا رسولا إلى نبي الله يخبره خبر ما جرى ، ويستنصره على هؤلاء الذين غدروا بهم ، فلم يجد رسول الله ﷺ بدا من أن يجيبهم إلى ما طلبوا . فما هي قريش قد نقضت عهدا ، وظهرت حلفاءها على حلفائه ، وها هم حلفاؤه جاءوا يستنصرون به . وتبين رسول الله أن مهادنة قريش كانت على دخن ؛ إذ أفلت فتح مكة أم القرى التي هي من الجزيرة العربية بمنزلة القطب من الرحي ، وفيها السكبة المشرفة التي تهفو إليها قلوب العرب قاطبة ، ويتوجه إليها المسلمون في صلواتهم ودعائهم .

وأحست قريش بسوء صديعها وخافت مغيبته ، فأرسلت كبيرها أبا سفيان بن حرب

إلى المدينة كي يستوثق من العهد ويمد في الأجل ، فدخل على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عندها العون على ما جاء من أجله ، ولكنه وجد منها أمراً عجيباً خيب ظنه ، ذلك أنه ذهب ليجلس على فراش رسول الله ، فطوته عنه . فقال : يا بنية ، ما أدري ، أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟ . فقالت : هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس عليه . فخرج وهو يقول : والله يا بنية لقد أصابك بعدى شر . ثم ذهب إلى رسول الله فكلمه ، فما رد عليه شيئاً ، وحاول أن يستشفع بأبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم عند رسول الله فما وجد عند أحد منهم ما يعينه على ما يريد ، بل أغاظ له الفاروق عمر في القول وأنذره بالشر . وما كان لي أن أمر بقصة أبي سفيان مع ابنته من غير أن أستخلص منها العبرة . وإن الإنسان ليلتمس السبب فيجده في الإيمان القوي الذي يحب لله ويبغض لله ، ويقول الحق ولو كان مرا ؛ وفي صنع السيدة أم حبيبة وأمثالها - وما أكثرهم - معنى قول الله تعالى : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأبدم بروح منه ، الآية ٢٢ من المجادلة . واستنفر رسول الله ﷺ الأعراب الذين حول المدينة وقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة . فاجتمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وجمينة وأشجع حشد كثير . وكان من سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم الموافقة لإخفاء خبر الغزو عن أهل مكة حتى لا يستعدوا فتكون الملحمة شديدة ، وما للمسلمين حاجة إلى إراقة الدماء . وكانت أمنية الأمانى عند رسول الله أن تفتح مكة من غير أن يراق دم ، فتبقى للبلد قداستها وحرمتها . وليس أدل على ذلك من دعائه - عليه الصلاة والسلام - ربه ومولاه بقوله : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها .

سار الجيش اللجب الذي بلغ تعداده عشرة آلاف مجاهد في رمضان من السنة الثامنة ميمما وجهه شطر مكة ، يحدوه إعزاز دين الله ونصرة حلفاء رسول الله ، وشهدت الصحراء هذا الجيش المؤمن الموحد الذي لم تر له مثيلاً من قبل . وامتلات جوانبها باسم الله الأكبر . وفي الطريق إلى مكة التقى الرسول ببعض أهل بيته منهم عمه العباس رضي الله عنه ، فأسلموا ورحن لإسلامهم ، وما زال الجيش يفتد السير : منهم الصائمون منهم المفطر حتى يبلغ مر الظهران ، وهناك أوفدت عشرة آلاف ثائر ، فارتاعت رسل قريش من هول ما رأوا ، وكان من الرسل أبو سفيان بن حرب ، وكان العباس عم رسول الله قد ذهب يتجسس الأخبار ، فعرف صوت

أبي سفيان وهو يتحدث مع من كانوا معه ، فحمله وراهه حتى أتى به إلى رسول الله وعمر وراهما يستأذن رسول الله في قتله ، ولكن رسول الله لم يأذن له وقال : « اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأنتى به ، وفي الصباح غدا به إلى النبي ﷺ فعرض عليه الإسلام .

وبعد مجادلة شهد شهادة الحق وأسلم . وأراد رسول الله ﷺ أن يريه عزة المسلمين وقوتهم ليخبر من وراهه من قومه ، عسى أن يكون في هذا أن ترفع قريش راية الاستسلام ، ويفتح البلد الأمين من غير أن تراق الدماء ، فقال للعباس : احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى جنود الله ، فجعلت الكتائب تمر به كتيبة كتيبة ، وكلما مرت كتيبة سأل عنها فيجيبه العباس ، حتى مرت الكتيبة الخضراء التي فيها رسول الله يحف به سادات المهاجرين والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فلم يلبث الرجل أن قال - وقد هاله ما رأى - : « يا عباس ، ما لاحد بهؤلاء قبل ، والله - يا أبا الفضل - لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ، فقال له العباس : إنها النبوة . قال : فنعلم إذن . وكان سعد بن عبادة الأنصاري لما مر بأبي سفيان قال له : يا أبا سفيان « اليوم يوم الملاحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، فلما أخبر رسول الله بمقالة سعد قال صلى الله عليه وسلم : « كذب سعد ، ولكن هذا يوم تعظم فيه الكعبة ، وأمر بالراية فأخذت من سعد وأعطيت لابنه قيس .

وكان العباس على علم بنفسية أبي سفيان ، فقال للنبي : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئا ، فقال رسول الله الخبير بالنفوس : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، فانطلق أبو سفيان إلى قومه يصيح فيهم بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن . وقد كان لهذا أثره في نفوس القرشيين ، وعصمت بسببه دماء كثيرة في هذا اليوم المشهود .

ولم يفت النبي ﷺ - وقد أصبح على أبواب مكة التي حرمها الله يوم خلق السموات والأرض - أن يوصيهم بأن لا يقاتلوا أو يسفكوا دما إلا إذا أكرهوا على ذلك إكراها واضطروا إليه اضطارا . ودخل خالد بن الوليد ببعض الجيش من أسفل مكة ، فلم يجد إلا مقاومة من قلة ضئيلة استجابات لنزوات الشباب وحمية الجاهلية ، وكانت نتيجة المناوشات أن قتل من جيش خالد اثنان ومن المشركين بضعة عشر رجلا .

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم ببعض الجيش من أعلى مكة من غير مقاومة ولا إراقة

دم ، وأصبحت له رايته على الحجون ، وضربت له هناك قبة ، وبذلك صدق الله رسوله وعده ودخل مكة منتصراً . وكان من فرط شكره لله سبحانه وتواضعه أن دخل مطأطأاً رأسه حتى لنكاد جهته تمس الرحل . وكان هذا الفتح الميمون في صبيحة يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان سنة ثمان من الهجرة .

ولأنه لما يسجل للمسلمين في سجل الخلود بسطور من نور أن لا تزهد إلا لأرواح بضعة عشر رجلاً أعلنوا العصيان في فتح بلدكم ، ذاق المهاجرون من أهله ألوان الظلم والاضطهاد وسيموا سوء العذاب ، ولكنها النفوس المؤمنة سرعان ما تنسى الإساءة ، وتستجيب لداعى الرحمة والعفو والصفح الجميل .

فلما استراح النبي صلى الله عليه وسلم قليلاً بقبته التي ضربت له على الحجون سار بين شيوخ المهاجرين والأنصار حتى المسجد الحرام وطاف بالبیت سبعاً وهو على راحلته يستلم الحجر بحجر في يده ، وكان على الكعبة ثلثمائة وستون صنماً فصار يشير إليها بعرد في يده وهو يقرأ : وجاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد ، فصارت تنهاوى وتسقط . ثم طلب مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة حاجبها فنأوله لرسول الله ، ودخل الكعبة وكبر في جوانبها وطهرها مما كان بداخلها من الصور والتماثيل ، وكان بعض بني هاشم قد طمع في مفتاح الكعبة لتكون لهم سداة الكعبة مع سقاية الحاج ، ولكن السيد الأمين صلوات الله وسلامه عليه أبى وقال : ابن عثمان بن طلحة ؟ فجاء فنأوله إياه وقال له : هذا يوم وفاء وبر .

ثم جلس النبي ﷺ بالمسجد الحرام بعد ما صلى بمقام إبراهيم وشرب من ماء زمزم حتى تضلع ، وعيون أهل مكة شاخصة إليه والقلوب واجفة منه ، وتجمعت في رهوس أهل مكة الذكريات المؤلمة ، ذكريات ثلاثة عشر عاماً كلها اضطهاد وتشريد وإيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين من صحابته ، وكانت خاتمة الاضطهاد أن أخرجوهم من ديارهم وأهليهم وأموالهم ، فلا عجب أن كانت أنفاسهم تتقطع من الخوف ، وأطل التاريخ برأسه على وادى مكة ليرى ماذا يصنع الرجل المظلوم المنتصر ؟

ولكن السيد العفو الرؤوف الرحيم ذا الخلق العظيم أخلف الظنون ، فقام على باب الكعبة خطيباً ، وكان مما قال : يا مشركي ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، كلكم من آدم وادم من تراب . يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ثم قال : يا أهل مكة ، ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، فاستعبرت العيون فرحاً ، وأقبلوا على رسول الله تائبين مسلمين لله رب العالمين .

ولم يهدر رسول الله إلا دم جماعة قليلة من عظمت جرائمهم ، واشتد إيذاؤهم له والمسلمين ، ومع هذا فمنهم من جاء مسلماً طالباً العفو ففعا عنه ، ومنهم من أبى الانقياد فحقت عليه كلمة العذاب .

وإن النفوس المنصفة التي لا تفشد إلا الحق لتجد لزماً عليها أن تقف هنا لحظات ، لتسجل فيها هذا المثال العالى الفريد فى باب العفو والتسامح الذى لا تجد له مثيلاً فى تاريخ الدنيا ، وما هو القرن العشرون - قرن النور والحرية والمثل الانسانية كما يزعمون - قد شهد حربين عالميتين ، وكلتا يعرف ماذا أنزل الغالب بالمغلوب من سلب وقتل وتخريب وتدهير وإذلال واغتصاب لحقوق الإنسان التي طالما طنطنوا بها وعقدوا لها المؤتمرات ولبسوا بها على السذج من بنى الإنسان ، لقد أصبح شعار المنتصر فى عصرنا هذا العبارة السائرة « ويل للمغلوب ، فأين ما يفعله المنتصرون فى قرنتهم العشرين من مخاز يندى لها جبين الإنسانية ، مما صنعه نبي الله محمد بن عبد الله قبل أربعة عشر قرناً ١١١٢

وبفتح مكة استوصلت الوثنية ورست قواعد التوحيد والإسلام فى الجزيرة العربية ، ودخل الناس أفراجاً فى دين الله ، حتى أضحت الجزيرة على دين واحد وعلى قلب رجل واحد ، وأصبح أهلها أهلاً لحمل رسالة الإسلام وإشاعة نوره فى كل مكان . لقد كان لفتح مكة آثار بعيدة المدى ، فقد أصبح البيت الحرام رمز التوحيد والوحدة والامان ، وقضى على عبادة الأوثان . ومن يومها وداعى الله من بيت الله يرفع صوته مجالجا فى الأجواء بأنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويستمر إلى ما شاء الله .

ولم يكدهمضى قرن من الزمان منذ الفتح حتى بسط الإسلام لواءه على المعمورة حينئذ ، ونعم العالم بدين الحق والعدل والخير والسلام ، وضرب المسلمون فى معاملة الأهم المغلوبة مثلاً علياً من التسامح والعفو والرحمة استمدوها من أخلاق صاحب الرسالة العظيم ، ولا سيما فى يوم الفتح . ولعلك - أيها القارئ الكريم - قد آمنت مئى بأن فتح بلد الله الحرام هو فتح الفتح فى الإسلام ؟

محمد محمد أبو شريفة
الاستاذ بكلية أصول الدين

النظم التي يقوم عليها

كيان المجتمع الاسلامي

والاعتداءات الماسة بهذه النظم

تشارك الجماعات - مهما اختلفت على المبادئ أو اختلفت عليها العصور- في أنظمة أساسية يقوم عليها كيان الجماعة . وإذا ألقينا نظرة على كل الأنظمة التي تقوم عليها الجماعات في العالم وجدنا أن كل الجماعات تشارك في أربعة أنظمة ، تعتبر الدعائم التي يقوم عليها كل مجتمع على سطح الأرض . وهذه الأنظمة هي :-

١ - نظام الأسرة .

٢ - نظام الملكية الفردية .

٣ - النظام الاجتماعي للجماعة .

٤ - نظام الحكم في الجماعة .

أولا - نظام الأسرة : الجماعة ليست إلا مجموعة من الأفراد . وهذه المجموعة

تتكون من عدة أسر . ولا شك أن الأسرة نتيجة لوجود الرجل والمرأة وقدرتهما على التنازل . وهذا الذلل في حاجة إلى من يعوله حتى يبلغ أشده ، ولذا اقتضى الحال أن يستأثر كل رجل بامرأة معينة ، وأن يفسب إلى نفسه من تلده من الأبناء ، وهكذا اقتضى وجود الرجل والمرأة وجود نظام الأسرة ، وصار هذا النظام أساسا تقوم عليه كل جماعة .

ثانيا - نظام الملكية الفردية : والإنسان في حاجة دائمة إلى المطعم والمسكن والملبس والمشرب وأدوات السعي لهذه وغيرها من الحاجات والمنافع دفعتة إلى تملك هذه الأشياء والاستئثار بها دون غيره من الناس لنفسه أولا ولأسرته بعد أن اقتضى الحال وجود نظام الأسرة ، وهكذا وجد نظام الملكية الفردية .

وإذا كانت المبادئ الاشتراكية والشيوعية تنادى بالملكية الجماعية وتؤثرها على الملكية الفردية ، فإن غلاة المعتنقين لهذه المبادئ لم يتمكنوا من إلغاء الملكية الفردية إلغاء مطلقا ،

لأن هناك من الملكيات الفردية ما تقتضى الطبيعة وجوده والمحافظة عليه ، فبكل إنسان في هذا العالم يجب أن يملك طعامه وكسائه ومسكنه وأداة عمله ورزقه ، وإلا استجالت عليه الحياة .

ثالثاً — النظام الاجتماعي للجماعة : وقد اقتضى نظام الأسرة ونظام الملكية الفردية الاعتراف بشخصية الفرد وحرية وحفه في حماية نفسه وأمرته وماله ، ولكن ضعف الفرد وكثرة حاجاته وقلة وسائله وحاجته إلى التعاون مع غيره كل ذلك دعا إلى تكوين الجماعة .

وتكوين الجماعة يقتضى بطبيعته أن يكون للجماعة نظام اجتماعي تقوم الجماعة على مبادئه ، ويبين حقوق الأفراد وواجباتهم ، والنظام الاجتماعي للجماعة يختلف باختلاف الجماعات . فالجماعات الإسلامية نظامها الاجتماعي يقوم على مبادئ الإسلام . والجماعات غير الإسلامية يقوم نظامها الاجتماعي على أساس الاشتراكية أو الشيوعية أو الرأسمالية أو غير ذلك من الأنظمة الاجتماعية .

رابعاً — نظام الحكم في الجماعة : كذلك اقتضى تكوين الجماعة أن يقوم فيها نظام للحكم يصرّف شئونها ويسهر على مصالحها ونظامها الاجتماعي ويوفر الأمن لها في الداخل والخارج ، وأنظام الحكم يختلف باختلاف البلاد . ففي بعض البلاد يكون الحكم جمهورياً وفي بعضها ملكياً إلى غير ذلك ، وهكذا وجد نظام الحكم وكان وجوده نتيجة ضرورية لوجود الجماعة نفسها .

هذه هي الأنظمة الأربعة التي يقوم عليها كيان المجتمع ، وكل مساس بها يمس المجتمع في أصل وجوده ويهدم أهم مقوماته ، ولذلك حرصت الشريعة الإسلامية الغراء على أن تحمي هذه النظم من كل اعتداء ، لأن في حمايتها بقاء الجماعة وصلاحتها للبقاء ، ولأن كل تمأون في حمايتها يؤدي إلى انحلال الجماعة وسقوطها .

الاعتداءات الماسة بهذه النظم : وقد تفصت الشريعة الإسلامية الاعتداءات الخطيرة

التي يمكن أن تمس هذه الأنظمة فوجدتها تنحصر في جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية ، وهي الزنا والقتل وشرب الخمر والسرقة والحراية والبغى والردة والقتل والجرح في حالتي العمد والخطأ .

فالزنا : اعتداء على نظام الأسرة ، ولولم يعاقب عليه لكان لسلك امرئ أن يشارك الآخر في أي امرأة شاء ، وأن بدعي من شاء أو يتصل بمن يشاء من الأبناء ، ولا تنتهي الأمر بغلبة الأقوياء وهزيمة الضعفاء وتضييع الأنساب وشقاء الآباء والأبناء . وأخيراً فإن إباحة الزنا معناها الاستغناء عن نظام الأسرة وهدم الدعامة الأولى من الدعائم التي تقوم عليها الجماعة .

والسرقة : اعتداء على نظام الملكية الفردية ، ولولم يعاقب عليها لكان لسلك فرد أن يشارك غيره في طعامه وشرابه وكسائه ومسكنه وأداة عمله ، وكانت الغلبة آخر الأمر للأقوياء ، وكان الجوع والعري والحرمان للضعفاء ، فإباحة السرقة معناها الاستغناء عن نظام الملكية الفردية وعجز الأفراد عن الحصول على ضروريات الحياة وسقوط الجماعة بعد سقوط أهم الدعائم التي قامت عليها .

والردة : اعتداء على النظام الاجتماعي للجماعة ، لأن النظام الاجتماعي لسلك جماعة إسلامية هو الإسلام ، ولأن الردة معناها خيانة الإسلام والخروج على مبادئه والتشكيك في صحته ، ولا يمكن أن يستقيم أمر الجماعة إذا وضع نظامها الاجتماعي موضع التشكيك والظعن لأن ذلك قد يؤدي في النهاية إلى هدم النظام .

والبغي : اعتداء على نظام الحكم في الجماعة ، لأن جريمة البغي تعني الخروج على الحكم ومعصيتهم ، أو تعني طلب تغييرهم أو تغيير نظام الحكم نفسه ، وإباحة مثل هذه الجريمة يؤدي إلى إشاعة الخلاف ، والاضطراب في صفوف الجماعة ، ويقسمها شيعاً وأحزاباً تتقاتل وتتناحر في سبيل الحكم ، كما يؤدي إلى اختلال الأمن والنظام وسقوط الجماعة وانحطاطها .

وجرائم القتل والجرح : اعتداء من ناحية على حياة الأفراد المكونين للجماعة ، وهي من ناحية أخرى اعتداء على النظام الاجتماعي ونظام الحكم في الجماعة ، لأن هذه الجرائم تمس حياة الأفراد وأبدانهم ، والنظام الاجتماعي يتطلب حماية الأفراد وعصمة أنفسهم وأموالهم ، كما أن نظام الحكم وجد لإقامة النظام الاجتماعي وتوفير الأمن للجماعة ، فالتساهل في محاربة هذه الجرائم يؤدي إلى تحكيم الأقوياء في الضعفاء وصرف الأفراد عن العمل المنتج وانصرافهم إلى التنازع والتناحر واستنباط الوسائل لحماية أرواحهم

وأنفسهم . وهذا يؤدي إلى تفكك الجماعة وانحلالها . وقد حرصت الشريعة أشد الحرص على أن لا تصل الجماعة لهذه الحالة ، فقررت عقوبة القصاص في حالة العمد ، والدية في حالة الخطأ ، وهي عقوبات رادعة قصد منها حماية الأفراد المكونين للجماعة وبث الأمن بينهم وتوفير الطمأنينة في نفوسهم .

وجريمة القذف : اعتداء على نظام الأسرة ، لأن القذف في الشريعة قاصر على ما يمس الأعراض ، ولأن القذف الماس بالأعراض هو تشكيك في صحة نظام الأسرة ، فن يقذف شخصا فإنما ينسبه لغير أبيه وبالتالي لغير أسرته ، وإذا ضعف الإيمان بنظام الأسرة فقد ضعف الإيمان بالجماعة نفسها لأن الجماعة تقوم على هذا النظام .

وجريمة الشرب : تؤدي إلى فقدان الشعور ، وإذا فقد شارب الخمر شعوره فقد أصبح على استعداد لارتكاب السرقة والقذف والزنا وغير ذلك من الجرائم ، فضلا عن أن شرب الخمر يضيع المال ويفسد الصحة ويضعف النسل ويذهب العقل ، والنظام الإسلامي يحرم شرب الخمر تحريما قاطعا ، فإتيان هذه الجريمة اعتداء من كل وجه على الجماعة وهدم للنظم التي تقوم عليها الجماعة .

وجريمة الخرابة : إن اقتصرنا على السرقة فهي اعتداء على نظام الملكية الفردية ، وإن صحبها القتل فهي أيضا اعتداء على حياة الأفراد المكونين للجماعة ، وإن اقتصرنا على ترويع الجنى عليهم فهي اعتداء على أمن الجماعة ، والاعتداء على حياة الأشخاص وأمنهم هو اعتداء على النظام الاجتماعي وعلى نظام الحكم ، لأن كل جماعة ملزمة بحماية حياة الأفراد وتوفير الأمن لهم ، لأن ذلك ضروري لبقاء الجماعة ، فإذا لم توفر هذه الحماية فعنى ذلك تفكك الجماعة وانحلالها لأن الأساس الأول لبقاء الجماعة وهو حماية أفرادها منعدم ، ولا يحمي الأفراد ويمنع الاعتداء على حياتهم وأمنهم إلا تقرير العقوبة الرادعة على هذا الاعتداء .

هذه هي الجرائم التي تمس كيان المجتمع مساسا مباشرا ، عاقبت عليها الشريعة بعقوبات رادعة وأهملت في تقدير العقوبة شخصية الجاني لبقاء الجماعة وحماية لها ، وإذا قلنا إن هذه الجرائم تمس كيان الجماعة فليس معنى ذلك أن باقي الجرائم لا تمس الجماعة من قريب أو بعيد ، إذ الواقع أن كل جريمة أيا كانت تمس الجماعة ، ولكننا نستطيع أن نقول إنه ليس في الجرائم كلها ما يمس الأسس التي يقوم عليها المجتمع مساسا مباشرا مثل الجرائم التي

احتفظت لها الشريعة بهذه العقوبات ، وإن بقية الجرائم إن مست صالح المجتمع فإنها لا تمس الأنظمة التى يقوم عليها المجتمع ، وإن مست هذه الأسس فإنها لا تمسها أساساً مباشراً وخطيراً .

ونجد أن الشريعة الإسلامية - فى الجرائم التى تمس كيان المجتمع وتصل بالأسس التى يقوم عليها - قد أهملت شخصية الجانى ، والشريعة فى هذا تعتبر منطقية وواقعية حين ميزت بين هذه الجرائم من ناحية وبقية الجرائم من ناحية أخرى ، لتفاوت الخطورة والآثار فى النوعين .

يتضح مما سبق أن الجرائم الماسة بكيان المجتمع نوعان .

النوع الأول : يشمل جرائم الحدود التامة وهى سبع جرائم : (١) الزنا (٢) القذف (٣) الشرب (٤) السرقة (٥) الحرابة (٦) الردة (٧) البغى .

وقد وضعت الشريعة لهذه الجرائم السبع عقوبات مقدرة ليس للقاضى أن ينقص منها أو يزيد فيها أو يستبدل بها غيرها ، فمن ارتكب جريمة منها أصابته العقوبة المقررة لها دون نظر إلى رأى المجنى عليه أو إلى شخصية الجانى ، وليس لولى الأمر أن يعفو عن الجريمة أو العقوبة بحال من الأحوال .

وقد اتجهت الشريعة فى جرائم الحدود إلى حماية الجماعة من الجريمة ، وأهملت شأن المجرم إهمالاً تاماً . فشددت العقوبة وجعلتها عقوبة مقدرة ، ولم تجعل للقاضى أو لولى الأمر سلطاناً على العقوبة ، وعلة التشديد أن هذه الجرائم من الخطورة بمكان ، وأن التساهل فيها يؤدي حتماً إلى تحلل الأخلاق وفساد المجتمع واضطراب نظامه وازدياد الجرائم ، وهى نتاج ما ابتليت بها جماعة إلا تفرق شملها واختل نظامها وذهب ريجها ، فالتشدد هنا قصد به الإبقاء على الأخلاق وحفظ الأمن والنظام ، أو بتعبير آخر قصد به مصلحة الجماعة ، فلا يجب أن تهمل مصلحة الفرد فى سبيل صالح الجماعة . بل العجب أن لا تضحى مصلحة الفرد فى هذا السبيل .

النوع الثانى : والنوع الثانى من الجرائم الماسة بكيان المجتمع يشمل جرائم القصاص والدية ، وهى جرائم القتل والجرح سواء كانت عمداً أو خطأ ، أو هى على وجه التحديد : (١) القتل العمد (٢) القتل شبه العمد (٣) القتل الخطأ (٤) الجرح المتعمد (٥) الجرح الخطأ .

وقد وضعت الشريعة لهذه الجرائم عقوبتين : هما القصاص أو الدية في حالة العمد ، والدية في حالة الخطأ . وحرمت على القاضى أن ينقص من هاتين العقوبتين أو يزيد فيهما أو يستبدل بهما غيرهما ، كما حرمت على ولى الامر أن يعفو عن الجريمة أو العقوبة ، وعلى هذا فن ارتكب جريمة من هذه الجرائم أصابته العقوبة المقررة لها دون نظر إلى ظروف الجاني وشخصيته .

وإذا كانت الشريعة قد حرمت العفو على ولى الامر فإنها قد أباحتها للمجنى عليه أو وليه ، فإذا عفا المجنى عليه أو وليه في العمد سقط القصاص وحلت محله الدية إذا كان العفو على الدية ، فإذا كان العفو مجانا سقطت الدية أيضا ، وفي جرائم الخطأ يسقط العفو الدية ، ويترتب على سقوط القصاص في العمد والدية في الخطأ جواز معاقبة الجاني بعقوبة تعزيرية ، والعقوبات التعزيرية ينظر فيها إلى شخص المجنى عليه وظروفه .

وظاهر مما سبق أن الشريعة تنهج أصلا في جرائم القصاص والدية إلى حماية الجماعة من الجريمة وإهمال شأن المجرم ، وأنها لا تعنى بشخصية الجاني وظروفه إلا إذا عفا المجنى عليه أو وليه . وقد منحت الشريعة حق العفو للمجنى عليه أو وليه لأن الجريمة وإن كانت ماسة بكيان المجتمع إلا أنها تمس المجنى عليه أكثر مما تمس المجتمع ، بل لأنها لا تمس المجتمع إلا عن طريق مساسها بالمجنى عليه ، فإذا عفا المجنى عليه أو وليه لم يعد ما يدعو لإهمال شأن المجرم والتشدد في حماية الجماعة ، لأن أثر الجريمة الخطر يزول بالعفو فتصبح الجريمة غير خطيرة ولا تؤثر على كيان المجتمع . والواقع أن المجنى عليه أو وليه لا يعفو إلا إذا صفح عن الجاني أو رأى في الدية فائدة مادية يهمله الاحتفاظ بها ، فعلة العفو هي إما الصفح أو الفائدة المادية التي تعود على المجنى عليه وأوليائه ، وكلاهما علة مشروعة تحملها الشريعة محل الاعتبار ، لأن الصفح معناه القضاء على الخصومات والأحقاد ، ولأن تفضيل الفائدة المادية على العقوبة البدنية معناه التسامح والصفح وإضعاف حدة الخصومات ، ولا شك في أن من حق المجنى عليه أو وليه أن يكون أول من تعود عليه من الجريمة الفائدة إذا أمكن ذلك بعد أن أصيب منها وتحمل من آلامها ما لم يتحمله غيره .

العقوبات المقررة للجرائم الحدود : تسمى العقوبة المقررة لكل جريمة من هذه

الجرائم حـدأ .

والحد هو العقوبة المقررة حقاً لله تعالى ، أو هو العقوبة المقررة لمصلحة الجماعة . وحينما يقول الفقهاء : إن العقوبة حق لله تعالى يعنيون بذلك أنها لا تقبل الإسقاط من الأفراد ولا من الجماعة ، وهم يعتبرون العقوبة حقاً لله كلما استوجبها المصلحة العامة ، وهي دفع الفساد عن الناس وتحقيق الصيانة والسلام لهم .
وسنتكلم عن كل عقوبة من هذه العقوبات ، باختصار .

أولاً — في عقوبات الزنا : للزنا في الشريعة الإسلامية ثلاث عقوبات هي :

(١) الجلد . (٢) التغريب . (٣) الرجم . والجلد والتغريب معا هما عقوبة الزاني غير المحصن ، أما الرجم فهو عقوبة الزاني المحصن .

ثانياً — في عقوبة القذف : للقذف في الشريعة عقوبتان : إحداها أصلية وهي الجلد ، والثانية تبعية وهي عدم قبول شهادة القاذف . ومصدر هذه العقوبة قوله تعالى في سورة النور : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون » .

ثالثاً — في عقوبة الشرب : تعاقب الشريعة على شرب الخمر بالجلد ثمانين جلدة . ومصدر العقوبة التشريعي هو قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد فاجلدوه ، أما نحرهم الخمر فصدره القرآن الكريم . والرأي الراجح أن العقوبة لم يحدد مقدارها ثمانين جلدة إلا في عهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حيث أشار أصحاب الرسول في حيد شارب الخمر فأفى على بن أبي طالب رضى الله عنه بأن يحد ثمانين جلدة ، لأنه إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، وحد المفتري - أى القاذف - ثمانون جلدة ، ووافق الصحابة على هذا الرأي . وإذن فتحريم الخمر مصدره القرآن ، والعقاب مصدره السنة ، ومقدار الحد مصدره الإجماع .

رابعاً — في عقوبة السرقة : تعاقب الشريعة على السرقة بالقطع . والمصدر قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، سورة المائدة ٣٨ .

خامساً ، في عقوبة الحرابة : فرضت الشريعة لجرمة الحرابة أربع عقوبات هي :

(١) القتل . (٢) القتل مع الصلب . (٣) القطع . (٤) النفي .

ومصدر هذه العقوبات التشريعي هو القرآن حيث قال الله جل شأنه : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، سورة المائدة : ٣٣ .

سادساً ، في عقوبة الردة والبغي :

(١) عقوبة الردة : للردة عقوبتان ، عقوبة أصلية وهي القتل ، وعقوبة تبعية وهي المصادرة .

القتل : تعاقب الشريعة المرتد بالقتل ، والأصل في ذلك قوله تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأرلئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، البقرة : ٢١٧ . وقول النبي ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » .

المصادرة : عقوبة الردة التبعية هي مصادرة مال المرتد ، واختلفت المذاهب والفقهاء في مدى المصادرة ، والرأى الراجح في هذا أن المصادرة تشمل كل مال المرتد ، وهذا هو مذهب الإمام أحمد .

(٢) عقوبة البغي : تعاقب الشريعة على البغي بالقتل ، والأصل في ذلك قوله تعالى في سورة الحجرات : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوها بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله ، وقول الرسول ﷺ : « من أعطى إماماً صفقة يده وثمرة فؤاده فليطعمه ما استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر ، وقوله : (ستكون هنات وهنات ألا ومن خرج على أمي وهم جميع فاضربوا بالسيف عنقه كأننا من كان) .

العقوبات المقررة لجرائم القصاص والدية :

جرائم القصاص والدية هي كما ذكرنا آنفاً ، القتل العمد ، والقتل شبه العمد ، والقتل الخطأ ، والجرح العمد ، والجرح الخطأ .

والعقوبات المقررة لها هي : القصاص — والدية — والكفارة — والحرمان من الميراث والحرمان من الوصية .

أولاً — القصاص : وهذه العقوبة مخصصة لجريمة القتل العمد . ومعنى القصاص أن يعاقب المجرم بمثل فعله ، فيقتل كما قتل ويجرح كما جرح . ومصدر هذه العقوبة هو القرآن والسنة ، فالله جل شأنه يقول : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأثني بالأثني . فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ، ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ، البقرة (١٧٨ ، ١٧٩) » ويقول جل شأنه في سورة المائدة ٤٥ : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأرثكهم الظالمون » . وفي السنة جاء قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من اعتبط مؤمناً يقتل فهو قود به إلا أن يرضى ولي المقتول ، ويقول : « من قتل له قتيل فأمله بين خيرتين إن أحبوا فالقود وإن أحبوا فالعقل - أي الدية - » .

ثانياً — الدية : جعلت الشريعة الدية عقوبة أصلية للقتل والجرح في شبه العمد والخطأ ، ومصدر هذه العقوبة القرآن والسنة ، يقول الله تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا ، النساء : ٩٣ . » ويقول الرسول ﷺ : « ألا إن في قتيل عمد الخطأ قتيل السوط والعصا والحجر مائة من الإبل ، » .

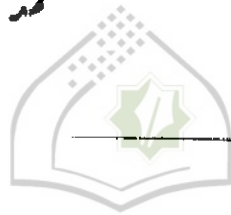
ثالثاً ، الكفارة : الأصل في الكفارة قوله تعالى : « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ، والكفارة عقوبة أصلية ، وهي عتق رقبة مؤمنة ، فمن لم يجدها أو يجد قيمتها يتصدق بها فعليه صيام شهرين متتابعين ، فالصوم عقوبة بديلة لا تكون إلا إذا امتنع تنفيذ العقوبة الأصلية .

رابعاً - الحرمان من الميراث : الحرمان من الميراث عقوبة تبعية تصيب القاتل تبعاً للحكم عليه بعقوبة القتل ، والأصل في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (ليس للقاتل شيء من الميراث) وقوله : وليس للقاتل ميراث بعد صاحب البقرة ، .

خامساً - الحرمان من الوصية : الحرمان من الوصية عقوبة تبعية ، والأصل فيها قول الرسول ﷺ : (لا وصية لقاتل) وقوله : (ليس للقاتل شيء) وذكر الشيء منكرة في محل النفي يعم الميراث والوصية جميعاً .

هذه هي العقوبات المقررة لجرائم الحدود والفصاح والدية .
وأرجو من الله أن يوفقني في شرح كل عقوبة من هذه العقوبات بالتفصيل .
والسلام على من اتبع الهدى . وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه الخير والسداد .

محمد محيي الدين المسبري



مركز تحقيق وتعميق علوم إسلامي

- المؤمن لا يحيف على من يبغيض .
- إعلان الشماتة كيد العدو العاجز .
- أخاق بمن غدر ألا يوفى له .
- المفروح به هو المحزون عليه .
- العاقل يترك ما يحب خوفاً من العلاج بما ينكره .
- من نأى أصاب أو كاد .
- عقوبة الغضب تبدأ بالغضببان : فتقبح وجهه ، وتلم دينه ، وتعجل ندمه .
- إذا لم تشغل النفس بما يصلحها شغلك بما يفسدك .
- نفاق المرء من ذله .
- الهوى مفتاح السيئات .

أدركو الأسرة

هذا عنوان مقال نشرته بعض الصحف ، عرض فيه كاتبه لحال الأسرة المصرية ، وصور ما يهددها من أخطار وما هي صائرة إليه من الانهيار .

وقارن بين حالها الحاضر وحالها الماضي ، وأنها كانت في ماضيها خيراً منها في حاضرها ، كما قارن بين حال الأسرة الريفية والأسرة المثقفة الحضرية ، وأن حال الأولى خير من الثانية ، وأبان في إيجاز أسباب اعتلال الأسرة ووجه العلاج ، ومع ذلك فقد طلب أن يوكل ببحث ذلك إلى لجنة من ذوى الخبرة في علم النفس ، وكان من رأيه أن الحالة النفسية التي تسود بعض المثقفين هي العلة الأولى فيما وصلت إليه الأسرة .

ونحن مع الكاتب الفاضل فيما عقده من مقارنات بين الماضي والحاضر ، وبين حال الأسرة في الريف والحضر ، وأن أمر الأسرة في حاجة إلى علاج حاسم وسريع ، لأن علاج الأسرة علاج للأمة : فهي نواتها ، ومنها تتألف وحداتها . إلا أن لنا رأياً آخر في أسباب انحلال الأسرة ، ورأياً في علاجها ، وإذا كان من أسباب تدهور الأسرة الحالة النفسية التي كونتها العوامل الثقافية والاقتصادية والحلقية كما أشار إلى ذلك الكاتب الفاضل ، إلا أنا نرى أن السبب الحقيقي وراء ذلك ، وهو خروج المرأة عن سنن الفطرة وسنن الشريعة في كثير من شؤونها ، فلقد خرجت المرأة عن سنن الفطرة وسنن الشريعة حين حاولت أن تلي من الشؤون ما لم تخلق له ولم تهيئها طبيعتها لتوليها : حاولت أن تختصب القيام على شؤون الأسرة في تصريف أمورها المعاشية ، وتستبد دون الرجل بطريق الإنفاق عليها ، ونزحزحه عن مكانه فيها ، فحاول الرجل أن يحتفظ بهذه الحقوق التي خولته إياها الفطرة والشريعة . وبين هذه المحاولات تعارضت سلطة الرجل والمرأة ، وكان من نتيجة ذلك انهدام بعض الأسر .

وخرجت على سنن الفطرة وسنن الشريعة حين حاولت أن تكون مشرفاً واعياً ورقبياً صارماً ، تحصى على الرجل حركاته في المنزل والعمل والمقهى والمستراض ، وفي زيارة الأهل والأقارب ، تفسر كل حركة من حركاته بعاطفتها النسائية ، وعقلها المحصور في الشؤون الزوجية . واستيقظت في نفس الرجل عناصر الرجولة فتدافعا وتنازعا وكان عاقبة ذلك

انفراط عقد بعض الأسر واختلال نظامها ثم انهيارها . وخرجت عن سنن الفطرة والشريعة إذ أسفرت وتبرجت وهجرت المنزل وشثونه وارتادت السينما والمسرح والمقهى والمشرب ، فدبت في صدر الرجل عقارب الغيرة ، وغلت في عروقه دماء النخوة ، فطلب إليها أن تلتزم حدود الحشمة والوقار ، وتعطى للمنزل ولالأولاد حقوقهم ، فتمردت عليه واستعصت على رياضته ، وضاق بها ذرعاً ، وأفلت من يده زمام التفكير والاستبصار ، وكانت بعض الأسر هي الضحية لتصرف المرأة وسلوكها .

وخرجت عن سنن الفطرة والشريعة حين حاولت أن يستجيب الرجل لمطالبها الكالية ، وما أكثر ما تطلب المرأة صيفاً وشتاء ، وخريفاً وربيعاً ، وما أكثر ما تطلب للباس والزينة ، وللباقة والمجاملة والمباهاة والمفاخرة . وقست على الرجل ظروف الحياة فعجز عن تلبية الرغائب وتحقيق المطالب ، فهاجت وماجت وهددت وهجرت ، وتقطعت أسباب الود والتعاون ، واضطر الرجل أن يفهم عرى هذه الرابطة ، فتعرضت بعض الأسر للانحيار .

وخرجت المرأة عن سنن الفطرة والشريعة حتى في إنجاب الأطفال . ولقد كان من المضحك أو المبكي — كما يشاء القارئ — ما نشرته بعض الصحف من أن زوجة اشترطت على زوجها أن يدفع لها ألف جنيه إذا ولدت له ولداً لأنها كانت راغبة عن الخلف صيانة لجسدها أن يذهب به الحمل والإرضاع ، فلما ولدت طالبت بالوفاء فأبى عليها فرفعت أمره إلى القضاء ، وما تزال القضية معروضة للنظر .

هذه بعض مظاهر ترمد المرأة على الفطرة والشريعة ، وهي السبب الحقيقي في انحلال الأسرة . وقد زين لها دعاة السوء من الجنس من ذلك التمرد في صور خلافة براءة هي صور المدنية والرق والخلاص من عبودية الرجل والفكك من سجن الحریم ، وما إلى ذلك من الصور الزائفة .

وقد خدعت المرأة المتعصرة بهذه الصور ، وجرت في المضمار ، ولكن سقطت دون الغاية ، وكان عاقبة أمرها خسراً ، فقد تعقدت مشاكل الأسر ومشاكل الزواج ، وانصرف الشباب لهذه الأسباب عن الزواج ، فركدت سوق الفتيات سواء المتعلمات منهن والجاهلات ، أحس الآباء والأمهات بوطأة الأزيمة في زواج البنات .

وقد سلم الريف من هذا البلاء ، وما تزال الأسر على خير حال من الاستقرار والهناء ، بفضل المرأة التي عرفت مكانها ووظيفتها ، وحافظت على سمعتها وكرامتها ، والنزمت حدود الحشمة والوقار التي يفرضها مجتمعها الريفي ، ولم تحاول ما حاولته أختها المتعلمة المنحصرة من الاستبداد بالسلطة في شئون الأسرة ، والانطلاق مع عواطفها ورغائبها دون حساب لغيرة الرجل وكرامته وطاقته المسالية ، وظلت المعينة المخلصه في المنزل والحقل ، تبدي رأيها إن أرادت في قاطن وأدب ، لا في كبرياء وصاف كما يفعل كثير من المثقفات الحضريات ، وساعد على ذلك الاستقرار حرص الرجل على مكانه في الأسرة والاحتفاظ بحقوقه ، وأنه القوام عليها وصاحب الرأي في تصريف شئونها ، والمسئول عن حاضرها ومستقبلها ، وسار كل من الرجل والمرأة في طريقه المرسوم له ، فلم تتعارض السلطات ، ولم تتباين الآراء ، وسلم كيان الأسرة الريفية من الهزات العنيفة التي تفضي إلى التصدع والانهار ، وسلم المجتمع الريفي أيضاً من أزمة الزواج التي كانت نتيجة لازمة لانحلال الأمر في المجتمعات المثقفة في المدن ، وما تزال الفتاة في الأسرة الريفية تحظى بإقبال الشبان والرغبة فيهن . وإن كثيراً ممن يتزوجون دون أن يبلغن السن التي فرضها القانون .

والعلاج الحقيقي لحال الأسرة أن تلتزم المرأة أو تلزم حدودها التي رسمتها الفطرة والشريعة ، وتكتفي بحقوقها الطبيعية والشرعية ولا تحاول أن تسلب الرجل حقوقه . وحقوق المرأة في الشريعة الإسلامية كقيلة بجهانتها وصيانتها وسلامتها وسلامة المجتمع من التفكك والانحلال .

وإن الأمم التي حارلت إزعاج المرأة من منزلها والرجح بها في الميادين العامة في السياسة والصناعة ودفعها إلى ما ليس من شئونها ، أخذت تدرك خطأها في ذلك وتحس سوء عاقبته على الأسرة والأمة . وقد ذكرنا في كلمة سابقة أن ذوي الرأي والتقدير في تلك الأمم أخذوا يفهمون إلى الأخطار التي حلت بالأسر نتيجة لذلك ، كما أخذوا يدعون المرأة إلى العودة إلى مكانها في المنزل لممارسة شئونه وشئون الأولاد ، ويقولون : إن المرأة لو أحسنت ممارسة هذه الشئون لساهمت بأكثر قسط في علاج الأسرة ، وأعدت لها هناءها واستقرارها وأصلحت ما أساءت به إلى نفسها ؟

وفي البلاغة أيضا . . .

في العدد الماضي من مجلة الأزهر علقنا على مباحث في اللغة والنحو ، والنية هذه المرة التعميق على بحث في علوم البلاغة .

واعلم علوم البلاغة أشد حاجة للبحث والدرس والتجديد من علمي اللغة والنحو . ذلك أن المتقدمين عنوا بالنحو واللغة أكثر مما عنوا بعلوم البيان ، ووجد المناخرون مجال البحث ممهدا فأكثروا من التأليف في هذين العلمين ، وبخاصة علم النحو . أما علوم البلاغة فببيل البحث فيها وعرض شائك ، وليس في استطاعة كل من تحدته نفسه أن يقول في البيان قولا ، لأن هذه الناحية من الدرس لا تحتاج إلى التحصيل وحده ، وإنما تعتمد إلى حد كبير على ذوق سليم ، وطبع مسعف .

وانتظرت الشكوى من الإهمال في علوم البيان ، في وقت مبكر جدا ، فوجدنا عبد القاهر الجرجاني يتحدث في أكثر من موضع عن التقصير في تحصيل هذه العلوم ، حتى يقول : « لا ترى في الدنيا علما قد جرى الأسر فيه بدينا وأخيرا على ما جرى عليه في علم الفصاحة والبيان . . . فإنك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه وجدت جله أو كله رمز ووحيا . . . وأما الأخير فهو أنا لم نر العقلاء قد رضوا من أنفسهم في شيء من العلوم أن يحفظوا كلاما للأولين ويتدارسوه من غير أن يعرفوا له معنى إلا علم الفصاحة ، » (١) . وجملة الأمر أنه إن قيل إنه ليس في الدنيا علم قد عرض للناس فيه من خش الغلط ، ومن قبيل التورط ، ومن الذهاب مع الظنون الفاسدة ، ما عرض لهم في هذا الشأن ظننت أن لا يخشى على من يقوله الكذب ، (٢) .

ولم تكن الحال بعد عبد القاهر بأحسن منها قبله ، فهذا الإمام أبو يعقوب السكاكي يشكو من الشكوى من أن علم البيان مع ماله من الشرف الظاهر ، والفضل الباهر ، لا ترى

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٥٠ مع بعض التصرف .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٢٨٢ .

علما لقي من الضيم ما لقي ، ولا منى من سوم الخسف بما منى ، (١) وإن كانت شكوى السكاكي تختلف عن شكوى الشيخ عبد القاهر ، فالإمام الجرجاني يشكو من غموض مسائل البيان عند المتقدمين ، ومن التقليد والجود وعدم الغوص على معاني الاوائل عند المتأخرين ، ويتألم لما يظهر في بحوث البيان من فحش الخطأ ، والذهاب مع الظنون الفاسدة ، وأما السكاكي فشكواه من تفرق مسائل البيان ، وأن أحدا لم يمهدها قواعد ، ولم يرتب لها شواهد ، وكل مسألة من هذه المسائل ذاهبة في مجاهل علم من العلوم ، علم تراه أيادي سبأ ، تجزء حوته الدبور وجزء حوته الصبا ، (٢) .

وشمر السكاكي لضبط متفرقاته ذيله ، واستنفض في استخلاصها من الأبدى رجله وخيله ، ومن قبله جمد عبد القاهر في تخيص العلم من الظنون الفاسدة ، وبالغ في الإبانة والتوضيح ، ولاكن الشكوى ما برحت تظهر كلما تقدمنا مع العصور ، فقد عكف العلماء والمتعلمون على ما كتبه السكاكي يستظرونه ، ويجادلون حول ألفاظه ، دون أن يفيدوا العلم بجديد ، مما دعا سعد الدين التفتازاني أن يقول في مقدمة شرحه المختصر ، عن علم البيان : وإن هذا الفن قد انضب اليوم ماؤه فصار جدا لا بلا أثر ، وذهب رواؤه فعاد خلافا بلا ثمر ، .

ولسنا اليوم في حال أحسن من أى عهد من هذه العهود الثلاثة ، فيما يتعلق بهذه العلوم ، فقد تغيرت الدنيا ، وتقدمت الدراسات ، وثبت بما لا يدع مجالاً للشك ، أن دراسة البلاغة على الطريقة المدرسية ، وتحصيلها على أنها قوانين جافة ، وقواعد مضبوطة ، لا يفيد هذه العلوم ، ولا يفيد طلابها ، ولا يمكن - بحال - أن يساعد على تنمية الملكة ، وتربية حاسة الإدراك . بل ربما كان له أثر عكسي ، كما هو الحال فيما نشاهده من أذواق المتعمقين في دراسة كتب البلاغة السكاكية ، ومع كل هذا لا يزال مصرين على أن يقضى الطلاب أعمارهم في استظهار طائفة كبيرة من التعريفات ، وعدد لا حصر له من التقسيمات التي لا طائل ورائها .

[١] مفتاح العلوم ص ١٧٨ .

[٢] المفتاح ص ١٧٩ .

وإذا كان لا بد من دراسة البلاغة في دائرة علمية ، فنحن في حاجة إلى من ينظر ويطيل النظر في هذه الكتب القديمة ، ويعرضها لنا بأسلوب جديد ، وبطريقة جديدة أقرب إلى روح الفن ، وأعود بالفائدة على الراغبين ، وقد كنا قرأنا وسمعنا أن بعض من يعنى بهذه العلوم عازمون على تدوين أصول جديدة لها ، ولكننا لم نظفر بغير هذه الوعود .

ذكرت كل هذا ، وأنا أطالع فصلا في مجلة المجمع العلمي العربي التي تصدر بدمشق ، كتبه الأستاذ الكبير أنيس المقدسي ، أحد أعضاء المجمع ، بعنوان : المسوّغات العقلية للبلاغة ، . وهو بحث قيم ، فيه محاولة محمودة لضبط أنواع البديع ، ومباحث البيان ، تحت ضوابط عامة ترجع إلى أمور نفسية . ولا أشك في أن الكتاب بذل فيه مجهوداً مشكوراً ، وفتح باباً لو واصلنا السير فيه ربما وصلنا إلى عمل جميل رائع في هذه العلوم ، ومن ضوابطه - مثلاً - العقل يجذب عادة إلى غير المعتاد ، ويتخذ هذه الخاصة وسيلة إلى معرفة سر الحسن في الالتفات ، والقصر ، والتقديم ، والاستفهام . ثم يبوب المحسنات البيانية (كذا) تبويبا منطقيا - وإن كنت أكره كلمة المنطق هنا - وهذا شيء لم يفعله القدماء - كما يقول - فيذكر هذه الأبواب (التواطؤ اللهظي) ، (التواطؤ المعنوي) ، (المغايرة) (الخروج عن المعتاد) ، (الإيحاء إلى غرض) ويدخل في كل باب من هذه الأبواب فصولا من علم البيان ، وأخرى من علم البديع ، فمثلا يدخل في باب التواطؤ المعنوي : التشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة ، ومراعاة النظير ، وتجاهل العارف ... وهكذا

ونحن مع العالم الفاضل في أن القدماء لم يبوبوا هذه البحوث تبويبا منطقيا . ولعله يريد كما فعل - تبويبا نفسيا ، ولكننا نسجل هنا أن القدماء علموا بعض الظواهر البيانية بأور نفسية ، وهذا أمر شائع ، وواضح في كتب الشيخ عبد القاهر : وقد صوّف القول - وأطال وأفاد في بيان السر في أن حسن التمثيل ؛ وراع ، وجل . وذكر عملا كلها ترجع إلى عواطف النفس وغرائزها ، ولما لنجده يسجل أمراً من هذه الأمور في أوائل كتابه أسرار البلاغة حين يعال الحسن في التجفيس فيقول عن صاحب التجفيس الرائع : فقد أعاد عليك اللفظة كأنه يخذعك عن الفائدة وقد أعطاه ، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاه ،^(١)

ثم إن واجب البحث العلمي يقتضي أن ننبه هنا إلى أمور : —

١ — كنت أفضل أن يكون عنوان البحث (المسوغات النفسية) فهذه الأور التي ذكرها ليست مما يكون حكم العقل واضحاً فيها ، وإنما هي الصق بعواطف النفس وانفعالاتها .

٢ — تحدث في فائحة البحث عن إعراض أهل زماننا عن المحسنات البيانية ، وحسبانهم إياها من الطرق الرجعية ، وذكر أن البلاغة تحولت إلى منهج الصناعة المتكلفة منذ القرن الرابع ، فأصبح البديع غاية منشودة لذاتها ، وأن التشدد في هذا أتى بفعل انعكاسي هدفه هدم الزخارف البديعية ، وملاحظتنا هنا أنه لم يفرق بين المحسنات البديعية ، والمباحث البيانية ، فالأولى - حقيقة - هي التي أثقلت البيان العربي ، وهي التي برم بها الشعراء والكتاب في عصرنا ، بل في عصر الدولة العباسية نفسها ، وليس ما وجه من النقد لأبي تمام بالامر المجهول . أما المباحث البيانية من مجاز واستعارة وكناية ، فلا تزال تحتل من أدبنا بل ومن كل الآداب أممي مكان ، ولنا أرى كتاب الصحف يعمدون كثيراً إلى استعارات ومجازات نحتاج إلى تأمل طويل !

مراجعات كميتر عدم رمدى

٣ — ذكر تعريفات تبعد كثيراً عما نعرفه في اصطلاح البلاغيين ، بل إن بعضها لا وجه له فيما أعتقد ، فهو يذكر المجاز المرسل ، ويمثل له بقول الشاعر : « مررت على المرومة وهي تبكي ، وهذا مجاز - قلى ، وما أظن أحداً جعله مجازاً مرسلًا ، ولا يقال هنا إنه أخطأ في التمثيل فقط ، فإنه لم يذكر غير هذا المثال ، فكأنه يعرف بالمثال ، ويعرف التجريد بأنه (أن يخاطب الإنسان نفسه) وهذا فقط نوع واحد من أنواع كثيرة للتجريد ، وقد عرفه القدماء بقولهم : « هو أن ينزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله فيها ، مبالغة لجمالها فيه ، وهو أقسام منها نحو قولهم لى من فلان صديق حميم أى بلغ من الصداقة حداً صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها ... الخ . وعرف الالتفات بأنه الانتقال المفاجيء من صيغة إلى صيغة ، ومثل له بقول الله تعالى : « قل أمر ربي بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، »

وفي تعريف الالتفات رأبان : رأى للسكاكى ، ورأى للجمهور : ولا ينطبق تعريفه

هذا على واحد من الرأيين ، والالتفات عند الاقدمين هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة : التسكلم والخطاب والغيبة ، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ، بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف مقتضى الظاهر ، ولا يشترط السكاكي أن يكون قد عبر عن المعنى بطريق من الطرق الثلاثة ، أو يكون مقتضى الظاهر التعبير عنه بطريق منها فعدل إلى الآخر ، بل يكفي بأن يعبر عن المعنى ابتداءً بطريق وكان من حقه أن يعبر عنه بآخر من هذه الثلاث . ولا ينطبق واحد من التعريفين على الآية ، ومجازها وقل أقيموا . . .

(٤) لم يظهر لي دخول بعض الأنواع في ضوابطه ، فمثلاً أدخل التورية تحت ضابط (التواطؤ اللفظي) ومثل بهذا البيت :

قالت وهبت لك السواك فقلت لا ولماك ، مالي حاجة بسواك

والذي سوغ دخول هذا المثال ما فيه من الجناس ، ولكنه ليس بلازم في التورية أن يكون فيها جناس . وهذه بعض أمثلتها (الرحمن على العرش استوى) . (والسماء بفيئناها بأيد وإنا لموسعون) وقول صلاح الدين الصفدي :

يا قلب صبرا على الفراق تلو قلوب روعت من تحب بالبين
وأنت يادمع ان أبحت بما تخفيه وجداً سقطت من عيني

وكثير من أمثلة التورية بل أكثرها لاجناس فيه ، كما أدخل في باب التواطؤ اللفظي (الطي والنشر) و (الجمع والتفريق) ، ولا أراها داخلين في هذا الباب ، وقد عرفه بقوله :

(أن تكون الالفاظ على جرس واحد أو من أحرف متشابهة ، سواء اختلفت في المعنى أم لم تختلف ، .

وأعود فأكرر أننا في مسيس الحاجة إلى كثير من هذه الأبحاث ، ولعلنا — معاشر الأزهريين — لا نقف متفرجين ، بل علينا أن ندخل الميدان وإلا فانتنا القافلة .

على العمري

عقبة بن نافع

البطل الشهيد

حين انتصرت الجيوش الإسلامية على الدولة الرومانية لأول مرة في مشارف الشام ،
ذعر الروم ذعرا شديدا ، وأيقنوا بالخطر الداهم يفاجئهم من حيث لا يتوقعون ، بينما ارتفعت
الروح المعنوية للجيوش الظافرة ، فالتجمت إلى مصر ، وتقدم الجيش العربي إلى وادي النيل
فأنقذه مما يتخبط فيه من عسف الرومان وجبروتهم ، وانتشر لواء العدالة بقيام النظام
الإسلامي في مصر ، وفاض نور الإسلام على وادي النيل ، فأصبحت هذه البقعة من شمال
إفريقية إحدى معاقله الحصينة ، وتشرب أبناؤها روح الدين الجديد فاعتصموا بحبله ،
وحفظوا قرآنه ، وتحذثوا بلغته ، ولم يكن بد من التطلع إلى إفريقية لتنضم برجالها وحصونها
إلى الدولة الإسلامية الناشئة ، فالتجمت همهمة القائد الفاضح الحكيم عمرو بن العاص إليها فسار
غربا إلى برقة وطرابلس فافتتحهما وترك بهما حامية عربية ، وفي خلافة أمير المؤمنين عثمان
ابن عفان رضى الله عنه توجه عامله وأخوه في الرضاع عبد الله بن أبي سرح إلى إفريقية على
رأس جيش عربي يبلغ عشرين ألف مقاتل ، وقد انضم إليه عقبة بن نافع قائد حامية برقة ،
وخرج البربر والروم للقائهم في جيش كثيف يزيد عن جيش الإسلام بما يقدر بمائة ألف
مقاتل ، ودارت معارك رهيبة صمد لها المسلمون رغم ضآلة العدد والعدد صمودا رهيبا ،
فدارت الدائرة على أعدائهم وأبلى عقبة في هذه الملاحم بلا حميدا ، فنألق نجمه ، واعد من
قادة الإسلام البواسل ، وحماته الميامين .

كان عقبة بن نافع شجاعا مقداما ، وهو من كرام التابعين الذين أدركوا فضلاء الصحابة
وأخذوا عنهم الورع والشجاعة والإيمان . وقد امتلأت جوانحه حمية وبسالة ، وسحره
ما أبداه أبطال الإسلام من فتوة وتضحية ، فأعجب بعلي وخالد وأبي عبيدة وسعد ، وآلى على
نفسه أن يقوم بمثل ما قام به هؤلاء الأبطال ليعلى كلمة الله في بلاد تكنتفها الغيايب
ويبلغها الظلام .

سار عقبة إلى برقة وأبلى أحسن البلاء في جيش ابن أبي سرح ، وأخذ يتحرق شوقاً إلى لقاء الأعداء في معارك حاسمة ، غير أن أمير المؤمنين عثمان كان يستشهد في داره ، وتقع الفتنة بين المسلمين ، وتقوم الحروب الداخلية فيما بينهم ، ويتوقف طوفان الفتح ريثما تنجلي الغمة وتتحرك الكافة ، وعقبة في حاميته كالأسد السجين ، فهو بركة يتوق إلى الحرية في ميدان موقعة الكفاح حيث تصل السيوف وتموج الدماء .

وفي عهد معاوية تحقق ما يبتغيه ، فقد ولاه الخليفة القيادة وبعث إليه بعشرة آلاف مقاتل ليواصل الفتح ، فاندفع القائد الباسل بجنوده ونفت فيهم من روحه . وتقدمهم في كل موقعة ، وكان موضع الأسوة بمهارته العجيبة ونضاله المرير .

كان عقبة يقف بجيشه أمام الرومان والبربر معا ، والروم قوم متضلعون بفنون الحرب ، يعملون الحيلة ويرسمون الخطة ، والبرابرة معشر كفاح وجلاد ، فقد صهرتهم شمس الصحراء وتسلفوا الجبال واختبروا الآكام والصخور ، ونازلوا الوحوش في أرباض ملتوية وأدغال كثيفة ، فهم أشبه بالعرب حماسة وقوة ، لولا أن إيمان المسلمين يدفعهم إلى الممالك ويجب لهم الاستشهاد ، أضف إلى ذلك أن البرابرة أصحاب الصحراء يعلمون مخابئها ودروبها ، ويعتصمون بقللها وآكامها ، والعرب غرباء نازحون يحملون ما يحمل الغريب في أماكن لم تطأها قدمه أو يأنه عنها حديث . تحقيقاً لقيمة علوم ربي

كانت الصعاب تكشف الجيش الإسلامي من كل ناحية ، وإلكن عقبة يستهين بما يعترضه منها ، فعليه أن يتغاب عليها بأذلا جهده وفكره وحيلته ، ومن ثم فقد استبسل وجالد ومضى يشق البيد ويضوى المراحل وينكل بأعدائه الأشاوس حتى خاف محاربوه ، وذاق حلاوة النصر في مطالع كفاحه فوثق به جنده ، وسيطر عليهم سيطرة الخازم البصير ، وعالج بالقوة ما يحدث من شقاق ، فأخذ الخونة بالجزاء الصارم ليكونوا عبرة بالغلة لمن يظهرون الإخلاص في الوجوه ، ويبطنون البغضاء في القلوب .

تقدم عقبة بأبطاله فأحرز النصر والنجاح ، ثم عمد إلى أجمة عظيمة تسكنها السباع والأفاعي ، ويرهب البربر ووحشها الكاسرة وهوامها المؤذية ، فأزال أحراسها وأعمل الرماح والسيوف في حيواناتها فقرت هائمة تنلس النجاة ، ثم ابنتى فوقها مدينة الفيروان ورأى البربر كتاب الوحوش تفر هاربة من الغزاة الظافرين ، فزادت رهبتهم وعدوا ذلك انتصاراً حاسماً

الإسلام تؤيده السماء ، فأذعن الكثيرون لدين الله ، وهبوا يساعدون في بناء القيروان ، فشيّدوا داراً للإمامة ومسجداً للصلاة وبيتاً للناس . وفي مدة يسيرة أصبحت حاضرة العرب في إفريقية تتجاوب آفاقها بالأذان وترتل في جوانبها آيات القرآن الحكيم .

وواصل القائد المغوار زحفه وفتوحه ، ولكن النبا يأتي بعزله رغم انتصاره الساحق ومجده العظيم ، فاكتب البطل أسفا وحسرة إذ حيل بينه وبين أمانيه ، وضاعف شجونه أن القائد الجديد أبا المهاجر لم يرع له مكانته ، فلم يطق صبراً على ما يرى ويسمع ، وسار إلى دمشق فأبلغ معاوية ما لحقه من تنقص واستخفاف . ومكث في عاصمة الخلافة ينتظر عودته إلى القيادة وفي قلبه أمل بارق ، يود أن يتحقق عن قريب .

كان أبو المهاجر ينتهج سياسة المسالمة والأمان ، ورأى الملاينة سبيلاً ناجحة إلى تجميع القلوب وتآلف النفوس ، فصانع البربر ، حتى آمنوا بجانبه . واعتنق رئيسهم (كسيلة بن لمزم) الإسلام لحامله أبو المهاجر وشفاعه واجتباؤه ، ثم تقدم قليلاً إلى الغرب دون أن يحرز فتوحاً مبيهاً ، والجيوش العربية لطيفة تتطلع إلى قائد مغامر يطير بها من نصر إلى نصر ، ويعيد إليها أمجاد عقبة وفتوحه الخالدات .

ولم ترض الأقدار للبطل الأعزل أن ينأى عن مسارح كفاحه وميادين فتوحه . فمات معاوية وأعادته يزيد إلى مكانه من القيادة . فاستقبله الجنود استقبالا رائعا ، ورجع البطل إلى مضماره الفسيح ، والامل يفسح له الرغائب وينير في عينه الحياة . ولم يفس ما فعله به أبو المهاجر فكالم له صاعا بصاع وأوثقه في الأغلال وحمله مكبلا مع جيشه الفاتح ليرى بعينه انتصاراته الباسلة . فيتحرق في قيده لهفة وخذلانا . ولبت عقبة قد قابل السيئة بالحسنة ، فيسجل له الدهر مكرمة جديدة إلى مكارمه الرائمات 11

وقد استخلف زهير بن قيس على القيروان ، وتقدم بجنوده وأبطاله يخوض المعارك الدامية ويقتحم الحصون والآكام .

وكان حر الهجير يحرق الجلود ويرمض الاحشاء ، وعوائق الطبيعة من جبال وزياح ومضايق تجثم بأهوالها في الطريق ، والاعداء يتجمعون وراء الكهشبان والهضاب ، والوحوش المتمرة تبرص مع البربر ، هول ورهبة في كل مكان اوموت يفغر فاه في كل منعطف وواد!

ولكن البطل يستهزئ بالخطوب ويرسم للفتح خططا محكمة ، فيهجم على د باغاية ، ويمزق ما بها من البربر والروم ، ثم يطير إلى بلاد الراب ، فتسقط د لربة ، منكسرة خاشعة تحت أقدامه ، ويفر جنودها إلى الهضاب والتلال بعد تلاحم رهيب ، وتأخذ عقبة المشوة فيندفع إلى (طنجة) ويستقبله قائدها . صالحا مسالما بعد أن أفرعه الرعب وتحقق الكارثة الدامية لمن هم بمكابرة وعصيان ، ويتقدم الجيش ليرى في بلاد (السوس) برابرة كالوحوش الضاربة حفاة عراة يرسلون الضفائر ويتسربلون بالجلود ويرسلون الصرخات المنكرة في آذان لم تسمع من قبل زججرة الوحوش من أفواه الأدميين ، وتدور المعارك فيساقط الصرعى من الجانبين ، ويتلاحق الطوفان البربرى من كل صوب ، ولكن القائد يتقدم ويرمى بنفسه تحت الظبا والأسنة المشرعة ، والنبال المنهمرة كالسيل ، وجنوده من ورائه لا يحفلون بشهيد يسقط ، أو جواد يكبر ، ويأذن الله بالنصر لدينه ، فتعمر الجموع المراكمة ، وتفرق الوحوش الواثبة ، وترفر راية الإسلام ، ويندفع البطل إلى الامام حتى يباغ المحيط الزاخر تتلاطم أمواجه وتهدر أواذيه ، فيقذف بجواده إلى الماء حتى يباغ صدره ويرفع يديه إلى السماء ليقول في بسالة وإعذار : اللهم إني أمهدك الأبحار للخيول في هذا الماء ، ولو وجدت مجازا لجزت إلى الغرب في سبيل الله ، قوة وإيمان تملآن روح هذا البطل المغامر الطموح ١٩

لقد توغل في المهامه الشاسعة والمطاردح المجهولة إلى مدى لم يخطر بذهن من الأذعان ، وها هو ذا يرجع أدراجه ظافراً إلى القيروان وقد اعتقد أن الطريق عمدة ذلول والاروبة هيئة مسالمة ، ولكن الروم والبرابرة يتحرشون من جديد ، وكلاهما في حزن عمض وألم دفين ؛ فالروم يلتاعون لملك فقده ، وعدو قوى يستهين بالصعاب ، والبرابرة قد خضعوا خضوعاً منكراً لزعيمهم د كسيلة بن لمزم ، وقد اعتنق الإسلام وشايح أبا المهاجر ثم نسكل به عقبة حين رجع إلى القيادة فاستدله في قومه بعد عزة — وهذا خطأ كبير — وباغ في تحفيره فأجبره على سلخ الشباه وغسل القدور ، وثارت ثارته وهو السيد المطاع ، فاندفع إلى محالفة الرومان ونبد الإسلام مما يتوقع حدوثه من كل متسكبر طموح ١١

أجل لقد دير البربر والروم مكيدة أليمة للجيش الظافر ، ووقف الروم أولاً أمام عقبة ، فتوجه سريعاً إليهم ببغايا جيشه ، ولم يكن يعلم أن البربر سبهاجونه من الخلف بقيادة د كسيلة ١١

فما لبث أن وجد نفسه بين المطرقة والسندان حين يطبقون برماحهم وخيولهم من حيث يأمن ، وكان أبو المهاجر العظيم لا يزال مكبلا بالأغلال ، فنارت حمية الإسلام في نفسه وعز عليه أن يجد أبناء دينه ولغته يتساقطون كأوراق الشجر على الرمال ، فصرخ وامتجد بعقبه ليفك وثاقه فيقف مع أصحابه في مأزقهم الكريه . واستجاب عقبه لندائه بأعلقه من إيساره ، ونسى المسلمان النديلان ما بينهما من خصام ، فتقدما الصفوف معا في بسالة وحمية ، والعدو يرعد ويرق ، والقلة القليلة من الجنود يتهاون شهيدا خلف شهيد ، ويخلف النصر هذه المرة وعده للغزاة الظافرين ، فيستشهد أبو المهاجر في معركة حمراء بعد أن ضرب المثل الأعلى للحمية العاقلة والرجولة المترفة عن النزوات والمآرب !! ويتبعه عقبه فيظفر بالشهادة هو الآخر بعد أن بذل المدخر الممكنون من حيلته الحربية وقوته وشجاعة أبطاله ، ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر !! فهنيئا للبررة المخلصين !!

لقد أعاد عقبه بجهاده في إفريقية أمجاد خالد في اليرموك ، وسعد بالقادسية ، فهو لا يقل بسالة وتضحية عن هذا وذاك . بل إنهما - كما قال الأستاذ محمود الخفيف في بعض أعداد الرسالة - كانا بحاربان أفواما مترفين حطمتهم الملاذ ووقع التعاذل بينهم ، وليسوا كالربر شكيمة ووحشية وقلة مبالاة ، وكان المسلمون في الصدر الأول متحدى الكلمة متفق الرأي ، فقد اشترى الله أموالهم وأنفسهم بالجنة ، وروح محمد ﷺ لا يزال تغمرهم بسموها الرفيع ، فتصعد بهم إلى عليين ، أما عقبه فيقتد مثل دوره بعد تفرق الكلمة في مقتل عثمان وقيام التطاحن في خلافة علي ، وتمزيق الوحدة بتعدد الفرق وتنازع الأهواء !!

وإن بطلا ينتصر بجنوده الغليلين مع هذه الموانع لجدير بالمحمدة والتبجيل . ويمكن أن اسمه اللامع بأنلق إلى اليوم بأحرف من ضياء في سجل الشهداء من الغامحين ، وتلك عليا مراتب الكمال

محمد رجب البيومي

يوم الفرقان

دار الزمان دورته ، فعاد بنا إلى مواجهة أعظم ذكرى في تاريخ الإنسانية لوقوف الحق في وجه الباطل ، وضربه المثل الأعلى لما يجب للحق على أهل الحق ، وبذلك كان (يوم بدر) يوم الفرقان ، لأن الله قد فرق فيه — بأيدي المسلمين الأولين — بين الباطل الذي كانت عليه الدنيا كلها ، وبين الحق الذي كانت عليه تلك الغلة من أوليائه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فعند هذا الرعيل الأول من طليعة الإسلام قدوة لكل جيل من الاجيال الإسلامية فيما يجب أن يكون عليه موقفهم من الحق ، كلما تمرد الباطل عليه ، وأنكر أن تكون الغلبة له ، والسيادة لأهله .

كان الرعيل الأول قدوة لنا بإفانهم الحق على أنفسهم ، فكانوا أهل حق في كل ما يختلف فيه الحق والباطل من مناقمهم الشخصية ، وأهوائهم الإنسانية . وكانوا يكونون مع الحق ولو كان على أنفسهم ، أو على من هم أعز عليهم من أنفسهم من آباء وبنين .

وكان الرعيل الأول قدوة لنا في إقامة الحق في بيئتهم ، فكانوا يضنون بها أن يظهر فيها الباطل على الحق فيما يتعامل به الناس ، أو يتعاونون عليه ، أو يحكمون فيه إلى حكمهم وقضاتهم .

وكان ذلك الرعيل قدوة لنا في إقامة الحق في الأرض ، فيبذلون كرائم أموالهم ، وفلذات أكبادهم ، وقطرات دماهم ، ليمنعوا المبطلين من أن يرسخ باطلهم في بقعة استطاع ذلك الرعيل الأول أن يطهرها منهم ومن باطلهم .

الحقيقة العظمى التي قررها (يوم الفرقان) في بدر ، هي أن الباطل د فتنه ، وأن الحق لا يكفي فيه أن يقوم به أهله في أنفسهم ، بل يجب أن يضربوا أيضا على يد الباطل د حتى لا تكون فتنه ، ، وأي فتنه أفدح من أن تكون للباطل سيادة تظهره حيث كان يجب أن ينفرد الحق بالظهور ؟

فهذه الحقيقة لم يسكتف الرعيل الأول من أئمتنا وقدوتنا الذين ضربوا لنا المثل الأعلى

في بدر أن يقيموها بأنفسهم ، بل مثلوها بدمائهم على مسرح الضال بين حقهم وباطل من يليهم من المبطلين ، فأقرهم الله سبحانه على عملهم ، وأنزل في مثل هذه الأيام من رمضان وحياً جعل ذلك ديناً لنا لا يتم ديننا إلا بالعمل به ، ثم وعدنا — ولا يكذب وعد الله — بأننا إذا عملنا به كان (جل جلاله) مولى لنا ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

سأل عوف بن الحارث سيد الهداة وأعظم المرسلين فقال له : يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟

وكان هذا السؤال في يوم هذه الذكرى ، أى يوم الفرقان ، يوم التقي الجمعان . فأجابته معلم الناس الخير :

« يضحك الرب من عبده غمسه يده في العدو حاسراً . »

وكانت على جسم عوف بن الحارث درع سابعة أعدها ليوم الفرقان ، فاقنتع بأها ثقيل جولته على الباطل في سبيل الحق ، وأنها لا ترد عنه قضاء الله إذا نزل . فزعم درعه ، وألقاها وراءه ، وأخذ سيفه المبارك فقاتل حتى لقي ربه شهيداً سعيداً مذكوراً على السنة الاجيال في أربعة عشر قرناً وأمثالها بعدها إلى يوم البعث الأكبر . ولو أن أغنى أغنياء الأرض أنفقوا كل ما في الأرض من ذهب وفضة لتذكروهم الإنسانية بالخير ذكرى خالدة عشرات القرون كما تذكروا أهل بدر لبأوا بالفشل والخزى .

ولما التقي الجمعان ، في يوم الفرقان ، لم يكن الصراع بينهما صراعاً بين قريش ومجاهدى المدينة من المهاجرين والأنصار . ولكنه كان صراعاً مع الباطل في كل مكان : في فارس ، في مصر ، في روما ، في القسطنطينية . وإنما كانت قريش تمثل أهل الباطل في الدفاع عنه ليبقى دفتنه ، على الأرض تشكك بنى الإنسان في الحق ، وما يقضى به . وقد يكون في صفوف قريش من يتفاوتون في حماسهم للباطل ، بل قد يكون فيهم من يكرهون الباطل في ذات أنفسهم ، ومن هؤلاء - مثلاً - عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كان ابنه (أبو حذيفة) في صفوف أهل الحق ، وكان الأب مع الآخرين ، لا تعصباً لباطلهم ولكن خجلاً من أن لا يكون مع طبقته من وجهاء قريش وأشرافها ، وهذا الحياء في الحق ، ضعف ، ورسالة الإسلام كما جاءت لإقامة الحق ، جاءت كذلك لإلغاء الحياء فيه .

إن يوم الفرقان ، لم يكن معركة حربية ، ولا خلافاً على ما يختلف عليه الناس من متاع الحياة الدنيا ، ولكن كان إعلاناً لمبادئ إنسانية ، وثبتتاً للقواعد التي تقوم عليها تلك المبادئ .

• الحق ، أمنية الإنسانية منذ وجدت ، ولن تكون الإنسانية أمنية أسمى وأعز من الحق ، حتى تقوم الساعة . والإسلام رسالة الحق المطابق كما تفهمه أصفي العقول وأنقاها وأنضجها وأطهرها ، وكل من أقام حقاً في الأرض فهو مسلم بقدر ما يقيم من حق ، فإذا أقام الحق كله كان المسلم الكامل .

ويوم بدر ، يوم الفرقان ، يوم ١٧ رمضان ، هو يوم تقرير الحق ، وأخذ العهد على نصرته ، (حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله) . فإذا جددتم - يا إخواني المسلمين - عهدكم مع الله على إقامة الحق لإحياء لهذه الذكرى واقتداء بما كان عليه الرعيل الأول من أهلها (فاعلموا أن الله مولاكم ، نعم المولى ونعم النصير) .

محبة الدين الخطيب



مركز تحقيق كاتيبور علوم إسلامي

المسلمون في كفاحهم

المسلمون على جمالة بعضهم عرفوا الحياة نعيمها والبوسا
أخذوا عن الزمن المشاغب علمها وتجرعوه من الخطوب دروسا
أفيلفون مدى العواطف نوما أم يدركون سنا البروق جلوسا ؟
ليس الذي لبس السلاح كما جر جعل النيب والنكول لبوسا
لو ضن معتق الختوف بنفسه ما نال من دنيا الرجال نفيسا
العزم منطلق لعزمك واسع فاربأ بنفسك أن تكون حبيسا
أحمد محرم

شخصية الأزهر

في يوم الأربعاء ٣١ من رجب سنة ١٣٧٤ (١٦ مارس سنة ١٩٥٥) ألقى السيد صاحب
الفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر
المحاضرة التالية بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر :

حديثنا عن الأزهر لا يعدو أن يكون استذكراً لصفحة تاريخية . ولهذا يبدو أنه
حديث غير جديد ، وبخاصة بين الأسرة الأزهرية ، فهي عارفة بما يتصل بأزهرها .
والمحدث إليها في شأنه كسناقل التمر إلى هجر . ولكنني أتتو من وقتكم هذه الفترة لاستذكر
معكم فيها فقرات من تاريخ الأزهر في ماضيه ، وأقف معكم في ضوئها أمام الأزهر في حاضره ،
ولنتشف من خلالها حياة يترقها الأزهر في مستقبله . وفي هذه الحلقات الثلاث دورة
حيوية يجب أن نلم بها وإن لم نستوعبها ، وأهل في ذلك الإمام تذكرة لمن غفل ، بأننا
السابقون إلى ما لم نسبق إليه ، ولعلنا نتحمل نحن الأزهريين أننا جهة ذات شأن ، تحملت
منذ القدم رسالة الإسلام إلى الأجيال ، وأنها مسئولة عن تلك الرسالة جماعة وأفراداً .
وعسى أن نتمدى إلى الحق فنقول إجمالاً ما لنا وما علينا إلا ما يغلبنا عليه الفسيان .

سادتي :

منذ تركت راية الإسلام على مدينة الفسطاط أخذت الثقافة المصرية تصطبغ بصبغة
جديدة ، وغدا المصريون يتلون من آيات القرآن الكريم ، ويتناقلون من أحاديث الرسول
وآداب العرب ما لم يكن يجري بينهم على لسان ، وصارت الدعوة المحمدية تفسح خطاها
في البقاع المصرية وما حولها ، كما ينساب الهواء في الوادي الرحيب ، وصار الروح الإسلامي
بروعته وحيويته يتغلغل في الانفس والقلوب ، كما يتغلغل ماء الحياة في العود الرطب .

ذلك لأن القائمين على تبليغ الدعوة كانوا مؤمنين بها أصدق الإيمان ، مخلصين لها أكمل
الإخلاص ، وبفضلهم قامت الإسلام في مصر دولة فنية ، كما قامت في نواح أخرى من
الأمصار العربية ، غير أن مصر فيما يبدو كانت أكثر طواعية للإسلام ، لأن طبيعة المصريين

أساس من سواها وبخاصة حينما تذوق الحق فيما ندعى إليه ، ولأن المصريين أهل علم وحضارة من قبل ، فهم بحكم ورائتهم يتوقون إلى العلم ، ويتشوفون إلى الحضارة . فلم يكن غريبا أن تبدو فيهم طواعية الإسلام أكثر من سواهم ، لأن الإسلام في جوهره ومظهره وفي جلته وتفصيله ، علم وحضارة ، فهو يتجاوب مع الروح المصرى في غير جهد ولا تكلف . ثم إلى جانب هذا كانت مصر — ولا تزال — بحسن موقعها ، وكثرة خيراتها ، تستهوى الفاتحين ، وتجذب العلماء والرحال ، وبذلك ظلت في عصرها الإسلامى بيئة علم ودين ، ومعرض تجارة ، ومصرح سياسة ، وبلاد أضياف ، حتى كأنها وطن مشترك بين أهلها وغير أهلها من أبناء الأقطار ، واقضى هذا الاتصال أن تتأوج بالثقافة الإسلامية ، يحملها إلى مصر رجال يغدون و يروحون ، وبتلقفها منهم مصريون يلتقون بهم حينما استقروا ، وأصبحت تلك الموجات الثقافية بحاجة إلى أن تتأقلم في مصر ، وتتجمع في محيط واحد ، يلم شعنها المتفرق ويشع من برجه ضوءها في جنبات هذا الوادى وما يتصل به من الأقطار . وبإنشاء موطن للثقافة ، أصبح مصر بعد مكة والمدينة مركزا ثالثا للدعوة الإسلامية .

ولعل مصر لخصوبتها وعذوبة نيلها وصفاء جوها وسهولة السفر إليها ، ولساحة أهلها ، تكون أيسر مقاما على من يرابط فيها إلى جانب العلم حتى يتعلم .

سادق :

كانت هذه الأمنية جذيرة أن تتحقق منذ دخلها المسلمون العرب ، ولكن الحياة الاجتماعية في الآونة الأولى لم تكن تقسح لهذه المنشأة ، ضرورة أن الحضارة الإسلامية كانت وليدة لم تبلغ بهم أن ينشئوا دورا للعلم ، على نحو ما عهدناه بعد ، ولما اتسع الأفق الإسلامى في مدى القرون الثلاثة الأولى ، وأصبح من المسلمين رعييل ضخم في بلاد المغرب ، وتفتحت أعين هذا الرعييل إلى بسط نفوذه ، ومد سلطانه ، وتأصيل حكمه ، لم يتردد هذا الرعييل في أن مصر هي ملتقى رغباته ، ومهبط أمانيه ، وهى الوطن الذى يستحق أن يستوطن ، والمقل الذى ينبغى أن يعسكر فيه ، وإذ تحقق لهؤلاء الفاطميين أن يتحركوا من المغرب ، ويدخلوا مصر ، ويجلسوا على أريكنتها ، كان الخاطر الأول الذى استأثر بعنايتهم ، هو أن يقيموا للعلم داره ، ويرفعوا له في مصر مناره ، وأن يجعلوا فاتحة عهدهم ، وأبرز مآثرهم ، لإنشاء الجامع الأزهر .

ومن وقتنا هذا في منتصف القرن الرابع الهجري أصبح في مصر أسبق جامعة عليية إسلامية ، وانعقد بمصر فصل جديد في تاريخ الثقافات في الدنيا ، تحت عنوان : الجامع الأزهر ، وغدا لمصر نخر جديد لا يزاها فيه مزاحم ، وهو أنها بلد الجامع الأزهر .

نعم حسب الفاطميون أن مجدهم بالأزهر ، ومجد الأزهر في مصر ، سيكونان من طريق المذاهب الشيعية ، فإن حياة هؤلاء ، كانت كلها ولا تزال ملونة باللون الفاطمي ، حتى اختاروا أن يشتقوا للأزهر اسمه من اسم فاطمة الزهراء بذت النبي محمد - صلوات الله وسلامه عليه ورضي الله عنها - ليكون الأزهر باسمه وبدراسته أداة الوصل بينهم وبين السيدة فاطمة ، ولكن الله أراد لمصر خيرا مما أرادوا ، فساق إليها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هجرية ، فقلب الأراضاع ، إلى أصح وجوهها ، وأحبل المذاهب الأربعة محل المذاهب الشيعية ، وأنشأ في القاهرة مدارس كانت كأجنحة الأزهر ، ثم جاء الظاهر بيبرس فضم تلك الفروع إلى الأزهر ، وأصبح الأزهر على رأس الطريق التي ينبغي أن يسلكها المسلمون ، وجعله عصباً قويا بين مواطن الإسلام كلها ، وبين الجماعات والوحدات الإسلامية المنبئة في الاقطار ، والتي تستظل بكتاب الله وبالسنة النبوية الصحيحة ، والتي لا تجنح إلى الشقاق والخلاف . وبهذا التوجيه أصبح الأزهر متصفا بالمعنى الحقيقي لهذا العنوان الجميل ، لا بالمعنى النسبي الضيق الذي كان يتقيد به في عرف الفاطميين .

سادتي :

تجمعت الثقافات الإسلامية في مصر في البقعة التي شاء الله لها أن تحمل اسم الأزهر ، وقد صدق فيها الأثر المشهور : إن لله خواص في الأزمنة والامكنة والأشخاص .

وكان من سنن المجتمع الإسلامي في الشرق أن يتوافد الناس على الأزهر في مصر ، ليتعرفوا أحكام دينهم من مصدرها الوثيق ، ورسخ في الأذهان حقا أن الأزهر مشرق من مشارق الهداية بعد مكة والمدينة ، وحفل الأزهر تباعا بالأجيال من الناشئة الإسلامية ، يقضون مرحلة من أعمارهم بين جنبانه عاكفين على الجهاد العلمي ، حتى كان لهذه الحياة العلمية دوى في آفاق الدنيا .

وكانت جلجلة الأزهر نافذة إلى قصور الملوك ، يستمعون إليه ، ويخشعون له ويعلقون

عليه صادق الأمل في إصلاح الراعى والرعية. ساعد على ذلك طابع شخصى عرف به علماء الأزهر وطلابه، طابع التدين الصحيح، والعزة النفسية، والشجاعة فى الحق، والأمانة فى تبليغ الدعوة، وكان طلاب الأزهر يحذرون حذر أشياخهم فى هذه المحامد، ويتخبرون من الشيوخ من تتضح فيه تلك الميزات، ويحرصون على تقليده، وربما قلده فى الحركات والسكنات. وهذا لقوة الجاذبية الروحية بين الشيخ وطلابه، وذلك هو الرباط الأدبى الذى يفشده العلم الحديث بين المعلم والمتعلم، أو كما يسميه أهل التصوف قديماً بين الشيخ ومريديه، وظلت سيرة الأزهر هنا وهناك كعبير المسك تفوح من جانب علمائه وطلابه من حسن مسالكهم بين أهلهم ومواطنهم، وفيما يشهده الطلاب الأغرأب بيننا وينقلونه عنا بعد العودة إلى ديارهم.

وإلى هنا نستطيع أن نقرر فى اطمئنان أن الأزهر فى الحقبة السابقة من ماضيه إلى الفتح العثمانى لمصر سنة ٩٢٢ بذل نصيباً مشهوداً من النشاط العلمى، وثأب فى القيام برسائله حتى أنتج وربى أجيالاً ضخمة من الناس تربية محمودة، منذ كان وحده حامل المشعل الثقافى فى العصور المظلمة، فكان من حقه على المسلمين أن يظفروهم بتقديره، وأن يحفوه بالإجلال والتكريم، وقد فعلوا، فالأزهر أدى إليهم رسالته، وهم عرفوا له فضله، وقدروا له مكانته، وسيد الأزهر نفسه، فسيده الناس طائعين شاكرين. ومثله كمثل الشاعر فى قوله:

وأكرم نفسى إنى إن أهنأها وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فإذا دخلنا فى العهد العثمانى، وجدنا الأزهر يستقبل فترة من حياته، لاهى من التاريخ الأول الذى تحدثنا عنه، ولا من التاريخ الحاضر الذى سنعرض له.

فقد انتقلت الخلافة الإسلامية من مصر بعد بغداد، واستقرت فى القسطنطينية، وأصبحت مصر حلقة ثانية وراء الخلافة، ووقف الأزهر وقفه المترقب لما يكون من الخلفاء العثمانيين.

ولم تكن الدولة العثمانية دولة علم ولا فلسفة، ولم يكن لها طابع أدبى موروث، ولا حوارات أن تضفى على رقعتها الجغرافية لونا علياً خاصاً، كما كانت تحاول دولة الفاطميين مثلاً، بل كانت وجهتها فى مصر وجهة استغلال مادى، وسيطرة عسكرية غاشمة، وسياسات

متأرجحة بين السكون والاضطراب ، وبقى الأزهر في عهد الأتراك حاملاً رسالته وحده ، دون أن يجد من الخلافة مؤازرة جدية ، تشق له طريقاً أفسح من طريقه الأولى في المضمار العلمي ، ولكنه لم يسأم ولم يطو صفحته ، بل عرف كيف يحرص في أناة وصبر على ثروة علمية ، كونها في قرون سالفه ، وكيف يحرص على مجد أدبي ظفرت به مصر دون سواها من الأمصار .

ونستطيع أن نتخلى هذه المرحلة الجامدة لمن يشاء الرجوع إليها في تاريخ الحكم التركي وما وراهه من ذبول حكم محمد علي وأسرته ، فقد يطول بنا ذلك ، دون حاجة إلى تفصيله .

وننتقل من ماضى الأزهر كله إلى حاضره الذى نشهده ونعيش فيه ، وهو الموقف الذى نقصد إليه ، ونود أن نتأزرر في الإحاطة به ، حتى نقف بالأزهر على باب مستقبل ملحوظ مرتقب .

سادتى :

لا يزال المسلمون على عدمهم بالأزهر ، أنه حصن الدين ، ومصدر الإرشاد، ومعقل الوطنية الرزينة الصادقة ، ولا يزال الأزهر حفيظاً على عهد المسلمين به ، ولكنه يحس في نفسه بأنه يلاقى في تبليغ رسالته شيئاً من العسر ، لم يكن يحس به من قبل ذلك ، لأن حوله عوامل تقتضيه أن ينشط أكثر مما كان ، وهو يود في شغف أن يستجيب لذلك العوامل دون أن يتعثر ، وحوله معرقات تحارل التضيق عليه ، وتحاول أن تحمل الناس على التسكّر له ، والاستهانة بما يقوم به في سبيل التهذيب والإصلاح .

وهو بين العوامل الأولى والمعوقات الثانية يجاهد وينصب في جهاده . فما هي العوامل التى تحفز الأزهر على الجهد والتخليق فى أفق أوسع من أفقه الأول ؟ ثم ما هي المعوقات التى يضيق بها الأزهر وبراهها دخيلة عليه من حيث يفتن الأزهريون أو لا يفتنون ؟

(١) العوامل :

١ — كان الأزهر وحده مركز الثقافة فى مصر قديماً ، ثم ما زال التعليم يتنوع ويتسع لدينا حتى أصبح الأزهر ركناً من أركان المركز الثقافى الفسيح ، وأصبح لزاماً عليه

أن يحدد من شبابه العلى ، وأن يمزج ثقافته الدينية بالثقافات التي لا يأبأها الدين ، بل لعلمها شطر جوهرى من أهداف الإسلام ، ولعل الأخذ بها ولو إجمالاً يساعد الأزهر على إقناع الناس بأن الدين أسبق إلى احتضان العلم كله ، وبأنه دفع أهله نحو الطموح إلى الثقافات قديمها وحديثها ، لأن الإسلام هو المنهج الصحيح للتطور في العقلية ، وفي مناحى الحياة الاجتماعية والأدبية ، فعود الأزهر عن مسابرة النهضة يعتبر تنحياً عن قيادته التي حمل رايتها من لجر التاريخ .

وما هو ذا الأزهر - فيما نراه وبراه الناس - متنبه إلى ذلك ، وأخذ يحظه من النشاط المطلوب ، وفيه دراسات لمختلف العلوم ، وفيه برامج للتربية البدنية ، وله بعوث في الغرب تنقل إليه ما يحتاجه من العلوم الحديثة ، وله بعوث أخرى في الأقطار الإسلامية ، تبلغ رسالته ، وتقاوم الجمالة في المحيط الإسلامى ، وفيه نخبة كريمة من حضرات المفكرين والمدرسين المثقفين ثقافة مدنية ، وهم يعتبرون عنصراً فعالاً في تلقح الثقافة الدينية بالثقافة المدنية ، وتعتبر هذه النخبة أداة وصل بين الأزهر ووزارة التربية والتعليم ، وعضداً قويا في العمل معنا بإدارة الأزهر . ولهم من خلقهم وإخلاصهم وكفائتهم وتدينهم ما يكسبهم ثناءنا وشكرنا ، وحسبنا منهم أنهم معنا في جد وإخلاص ، وحسبهم أنهم منا كأنفسنا .

٢ - عاش الأزهر صادق الوطنية ، ولكنه أخيراً في ظل الحكومات الحزبية ، كان يضطرب كغيره من معاهد العلم ، وكانت تموج فيه الدعايات المختلفة ، فتشغل بعض أهله عن رسالتهم الأصلية ، فيما يتغيبه بعض الأحزاب إزاء البعض ، وكان الأزهر في مجرعه مغلوباً على أمره ، وكانت الاكثوية من رجاله وأبنائه يربأون بأنفسهم وبأزهرهم عن هذه المغامرات . ولكنهم مأخوذون بذنب القلة منهم ، وهم يتطلعون إلى فرجة من هذه الضائقة ، ولسانهم يقول :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراه فرج قريب

وقد كان الله للأزهر إذ وصلته عناية الله أخيراً بعمد أغر ، في ظل حكومة وطنية وهى حكومة مثالية ، فيما يشهد التاريخ المصرى ، إذ تنألف من كتلة متجانسة البيئة متجاوبة الميل . فكلهم من البيوتات المصرية الصميمة التي برزت من الشوائب الدخيلة ، والى أشأت أسرها في أحضان الدين ، وشبت على التقاليد الوطنية ، وليسوا من سلالة الباشاوات الانزك ...

حكومة اليوم تدين بإجلال الأزهر ، وتنظر إليه نظرة الثقة فيه ، والرغبة في الانتفاع به ، وتتخذ منه عوناً كبيراً في إصلاح ما فسد من الأخلاق ، وإحياء ما درس من روح الدين ، وهي لا تدفع بالأزهر إلى حزبية ، فقد بادت الحزبية ، وتمكنت الأمة ، وإنما تهيب بالأزهر أن يجهر بدعوته الخيرة ، وأن يكون للرسالة المنوطة به ، وأن يرافق الثورة في خطاها الفسيحة إلى كل غاية نبيلة ينشدها الإسلام من أهله في العمل لوطنهم ودينهم ودينامهم .

وحكومة الثورة مصغية إلى توجيهات الأزهر في غير عصبية طائفية ، ولا تحامل عنصري ، والأزهر من ناحيته يدرك في حزم ما يتطلبه الانجاء الحكومي الجديد ، وما يتجه إليه النشاط الاجتماعي المتحفز . وهو يفتن إلى تعاقب الرجاء به ، واتجاه الأنظار إليه ، وهو - بما يبدي من نشاط نحو واجبه - جدير بتدارك ما فات في عصر الحكومات الحزبية ويكون - بنشاطه العلمي وبحسن إنتاجه - برهن على مقدار نفعه ، وأوضح مدى الحاجة إليه ، ونبه الغافلين عن رسالته إلى أن الأزهر ضرورة حيوية لمصر ، وعصب قوى للأمم الإسلامية جميعاً .

٣ - إن الأزهريين يرون بأعينهم أن كل جماعة من الجماعات المصرية تعمل على تكوين شخصيتها في هيئة متماسكة يجمعها شعور عائلي ، ويربطها حب أخوي ، ويسودها الاهتمام بأن تكون في طليعة الجماعات . وضحت هذه الظاهرة حتى في الجماعات التي نعتبرها دون غيرها ، فإذا لاحظنا أن القضاة والأطباء والمهندسين والمعلمين والموظفين والمحامين والصحفيين والصيادلة وغير هؤلاء من الهيئات المحترمة قد انتظمت كل واحدة منها في وحدة تسمى رابطة ، أو نقابة ، أو جمعية أو نادياً ، فإننا نلاحظ كذلك أن المطربين والممثلين ومن هم دون ذلك ممن يسمون أهل الفن يخلقون لأنفسهم شخصية ، ويفرضون على الشعب أن يعترف بهم ، وبأنهم يسدون فراغاً في المجتمع ، فإذا كان هذا مسلماً وأمرأ واقعا ، فالأزهريون - وهم الدعاة إلى الاتحاد والتضامن ، وهم بيئة واحدة في ثقافتها وطابعها الديني - أولى الناس بأن يكونوا قدوة هذه الجماعات في التعاطف وتبادل الشعور الأخوي ، والتآزر في اجتذاب الناس إلى ناحية الدين ، بالمظهر الصادق الذي كان يتعارفه الناس عنهم ، وبالبعد عما يثير الشبهة فيهم ، ويستفز الألسن حولهم ، وإني لمسئ في هذا ، إذ أرشد أهل الأزهر إلى خصائصهم ، ولكنه التعاون على البر والتقوى ، أو هي الذكري ، والذكري تنفع المؤمنين .

هذه اللمامة بالعوامل الإيجابية التي تهب بالأزهر أن يحتفظ بأزهره الماجدة .
وحينذاك بطيب لهم أن يقولوا في صدق :

بلغنا السماء بمجدنا وسناؤنا ولما نلرجو فوق ذلك مظهرها

تلك عوامل النهوض . فما هي المواقف التي يضيق بها الأزهر ؟ وما أحب أن أطيل
فيها ، وحسبك من شر سماعه .

أولا : ان نفرا من بيننا لا يؤمنون بشخصيتهم ، ولا بقدسية الأزهر ، ولا أشربوا
تقاليدهم ، ومع أنهم عاشوا بين جوانبه ، فقد تلونوا بألوان غيرهم ، وخرجوا عن وضعهم ، بعد
أن اتخذوا من الأزهر شهادة مرور ليصلوا بها إلى العمل ، ثم لا ترى في مشربهم الأدبي
ولا في طابعمهم الشخصى أثرا للثنافة الدينية التي انتزعوا من الأزهر شهادتها ، وكأن هؤلاء
ينكرون أنفسهم ، أو يتنكرون للناس ، فلامهم في عداد الأزهريين حقا ، ولا هم من
طبقة غير طبقة الأزهريين . هم أشبه بالمتنكر لنفسه ، وقد لعن النبي من انتسب لغير أبيه ،
وعندى أن الأزهرى المنسلخ من قوميته الأزهرية المهدبة ليس أقل شؤماً على نفسه من
المتنسب لغير أبيه ؟

لقد أسرف بعض هؤلاء في التنكر للأزهر ، فسأبروا الطاعنين عليه ، ورددوا غمزات
الغامزين فيه من أصحاب الأهواء والملاحدة ، وزعموا أن هذا التجاوب مع خصوم الأزهر
سبق إلى المدنية ، وأنها عبقرية قفزت بهم إلى الأمام ، فأنت تراهم في المجالس يجرحون
العلماء والأزهر كله ويستنون أنفسهم فقط ، وأنت ترى بعضهم حينما يصدر الأزهر حكمه
في أمر ديني يتطاولون ويعلنون المخالفة فيما يراه الأزهر ، مع أنهم لم يبلغوا من العلم مبلغ
المدرس الصالح للتدريس ، وإنما يلبلون الرأي العام الذي لا يعرف شأن هؤلاء المخالفين
بين صفوف العلماء ، وبهذا الانشفاق يتيحون الفرصة للمتحللين من الدين ، فيقولون عنا
ما يرضيهم ، وأنتم تشهدون أن النقطة السوداء تشوه النوب الأبيض كله .

ثانياً — في مصر بعض صحف ومجلات تنجر باسم صاحبة الجلالة ، وفي مصر كتاب
يؤجرون أفلامهم في كل ما يطلب إليهم ، وتلك الصحف ، وهؤلاء الكتاب ، يتناولون الاجر
من أية ناحية تدمم بمالها ولو كانت غير إسلامية ، فلا يتحرجون أن ينصبوا أنفسهم دائماً
لخصومة الأزهر وللغض من أهل الأزهر ، ولا يتحرجون من الجهر بالدعوة إلى نبذ

الآداب الإسلامية ، والسير في بحبوحة الملاذ ، ويسمون ذلك تجديداً وتحرراً من الجود ،
ومسايرة للعصر ، وفهما لروح الزمن ، ومساواة للمرأة بالرجل ، تحقيقاً للعدالة الاجتماعية ،
وهكذا من أساليب الخداع المغرية للأحداث ، ويفرح بذلك من يفرحون في مقاومة
الإسلام ، وزعزعة العقيدة ، ومجافاة الشريعة التي وضعت حصانة للعقول من الضلال ، وهديا
للناس إلى مسالك الخير في دينهم وديانهم ، وفي كل شأن من شئون المجتمع .

فإذا أنكر الأزهر على دعاة المجون هذه النزعة الخبيثة رموه بالعزلة والجود ، ونازعه
رسالته ، وزعموا أنهم يفهمون الدين خيراً مما يفهمه الأزهر ، وأن الأزهر ليس وصياً
على الناس . وإذا صاحت امرأة برزة بدعوة ماكرة ، أزرها هؤلاء الكتتاب ، وروجوا لها ،
وأحاطوا بها ليدودوا عنها بأقلامهم الآثمة ، ومن الغريب أن هؤلاء المناوئين للأزهر ،
والناقين على الآداب الإسلامية ، محسوبون علينا من المسلمين ، في حين أنهم لا ينكرون
منكراً آخر مهما جزعت له الإنسانية ، وأنهم لا يرون في طائفة أخرى من يتبجح ويتنكر
لدينه كما يتبجح ويتنكر هؤلاء من جنود صاحبة الجلالة الصحافة ، فالأزهر كان يبتغي أن
يجد من هذه الأفلام عوناً له على رسالته ، ولكن المادة جذبتهم إلى ناحيتها ، وليس
في الأزهر مال يسد أفواههم . فليكفروا وراء المادة ، وإن الله الذي عصف بالجلالة
الملكية سيهصف يوماً ما بالجلالة الصحفية التي تكيد لدينه ، وتناوى كتابه الكريم ، وسنة
الله آتية بغلبة الحق على الباطل . إن الباطل كان زهوقاً .

يا أبناء الأزهر !!

أحسستم من جديد بأن عهد الثورة عهد التجديد في كل شيء لصالح الوطن والدين والعلم ،
لخذاً أن تتخلفوا ، وخذار أن تطرحوا أزهريتكم قرباناً إلى مظهر يفرحكم ، بل استمدوا
من حيوية الإسلام صلتكم بالعهد الجديد ، وكونوا بأخلاقكم وكراماتكم في طليعة
الصفوف ، ولا يصدكم أن تروا كثرة من الناس غير حفية بالمظهر الديني ، فأنتم على الحق ،
والحق أحق أن يتبع .

يا أبناء الأزهر :

كنتم حملة الراية قديماً ، ولا زالت في أيديكم ، وأعينكم باقة أن تلقوها ، وفي الأزهر
شباب يعرفون الكرامة .

يا أبناء الأزهر :

لو لم يكن للأزهر مجد قديم لوجب أن تصنعوا له مجدا جديدا ، وقد أصبحت في ظل حكومة تناجى الشباب أن يتسلح بالخلق ، وأن ينشط في العلم ، ويعتصم بالدين ، ويهتز بالوطنية ، فكونوا أول المستجيبين لهذه الصيحة ، وأقنعوهم بأنكم عند ظنهم ، واركبوا السفاسف من الحركات الهازلة التي لم يعد لها شأن بعد أن انهارت الحزبية التي خدعتكم زمناً طويلاً عن العلم وعن الجد في رسالتكم .

وقد رأينا منكم في معرض الشباب الجامعي نموذجا سارا ، وسمعنا عنكم أكرم الأبناء في حفاظكم على الدين ، واجتذابكم الشباب إلى مواقف الصلاة في موعدها . وهذا الوفاء لدينكم ، والحرص على واجبهكم وتقاليدهم ، سترفعون من شأن الأزهر ، وستحفظون عليه من كرامته وهيبته ما هو جدير به .

ولا تكونوا كأفراد نشأوا في أحضانه ثم كانوا حربا عليه ، وكانوا سهاما في فؤاده .

يا أبناء الأزهر

إذا كنتم للأزهر في رجولتكم . كما كان الأزهر لكم في تفشيتكم وترييتكم ، فستظل شخصيته ناهضة في كبرياء ، وسيتميز بكم في صولته على خصومه ، وسيبرند الملاحدة والمأجورون عن مناوآته يائسين من الطعن فيه .

وسيقولون عنه ما تقولونه أتم .

رسا أصله تحت الثرى وسما به
إلى النجم فرع لا ينال طويل
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

غزوة الخندق

الدعاية كسلاح من أسلحة الحرب

- ٣ -

فوجئت قريش والأحزاب بالخندق فوقفوا دونه ، ثم أرسلوا ليهود بني قريظة يحرضونهم على أن ينقضوا العهد بينهم وبين محمد ﷺ فأفلح مسعاهم وأصبح المسلمون في مأزق خطير . . .

كيف الخروج من هذا المأزق ؟

في هذا الوقت العصيب كان رسول الله عليه الصلاة والسلام غارقا في التفكير في هذا الأمر ، ضارعا إلى الله عز وجل أن يكشف الغمة ، وبزيل الكرب .

كان المسلمون بين عدوين ، وكان أمام الرسول حلان كلاهما مر :

الحل الأول : أن يقاتل جميع الأعداء في الجبهتين في وقت واحد ، وهذا ما لم يكن في مقدوره بالنسبة لقلة قوته .

والحل الثاني : أن يقاتل عدوا ثم يميل على الآخر بعده ، وهذا الحل كذلك لا غناء فيه ، فإن انصرافه ناحية إحدى الجبهات لم يكن من الحكمة في شيء ، لأن ذلك يضعف مركزه في الجبهة الثانية ، ويشجع عدوه على السيل منه .

فكر النبي صلى الله عليه وسلم في كل ذلك ، وقدر الموقف ، وانتهى إلى ضرورة الأخذ بالحيلة والمكيدة . فأراد أن يرسل إلى غطفان بعدما تلك ثمار المدينة إن هي انسحبت ، ولكن سعد بن معاذ وسادة المدينة اعترضوا على ذلك على ما يقال .

ثم إن نعيم بن مسعود الغطفاني أسلم وكنتم لإسلامه ، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم متخفيا فقال : يا رسول الله ، إن قد أسلمت ، وإن قومي لم يطلوا بإسلامي ، فرني بما شئت .

فقال الرسول : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة .
أى ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا فلا يقوموا لنا ولا يستمروا على حربنا .

نخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة - وكان لهم نديما في الجاهلية - فقال : يا بنى قريظة ، قد عرفتم ودى إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت . لست عندنا بمتهم فقال لهم : إن قريشا وخطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرين على أن تنحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وخطفان قد جاءوا للحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموه عليه ، وبلدكم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلقوا بينكم وبين الرجل بلدكم ولا طاقة لكم به إن خلابكم . فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا محمرا حتى تناجزوه . فقالوا : لقد أشرت بالرأى . ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابن سفيان بن حرب ومن معه من قريش : قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم ، فاكتموا عنى . قالوا : نفعل .

قال : تعلمتموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذك من القبيلتين قريش وخطفان رجلا من أشرفهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم . . . ، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا . ثم خرج حتى أتى خطفان فقال :

يا معشر خطفان ، إنكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس لى ، ولا أراكم تهموننى .

قالوا : صدقت . ما أنت عندنا بمنهم . قال : فاكتموا عنى .

قالوا : نفعل ، فما رأيك ؟

فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس أرسل أبو سفيان ورموس خطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وخطفان فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، وقد هلك الخف والحافر . فاغمدوا للقتال حتى تناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه .

فأرسلوا إليهم : ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، ولستنا مع ذلك بمقاتلي محمد حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا ، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ، أن تلثمروا إلى بلادكم وتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقه لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وخطبان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بنى قريظة : انا واقف لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . وقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق . ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشروا إلى بلادهم وخلصوا بينكم وبين الرجل في بلادكم .

وهكذا نجحت دعوة نعيم بين الأحزاب ، فخذل الله بينهم ، وبعث عليهم رجلا شديدة ، وهطل المطر غزيراً ، وقصف الرعد ولمع البرق ، واقتلعت العاصفة خيامهم وكفأت قدورهم ، وأطفأت نيرانهم وبعث الله الرعب في نفوسهم ، فخيّل إليهم أن المسلمين عبروا إليهم ليستأصلوهم ، فقام أبو سفيان ونادى للرحيل ، فقام خلفه رجاله . وهكذا فعلت غطفان وسائر الأحزاب ، وما أصبح الصبح إلا وليس لها من أثر .

الدعاية كسلاح من أسلحة الحرب : دعوى رضى

كانت دعوة نعيم بن مسعود عملاً بارعاً حقاً ، وأهم أسباب نجاحها هو التوفيق في التوجيه ، والتوفيق في اختيار الوقت المناسب ، فمما نجحت دعوة قط برجل واحد نجاح هذه الدعوة ، ولا انتهزت فرصة العناصر الطبيعية والعناصر التي تألف منها جماعة الأعداء كما انتهزت هذه الفرصة ، فكل كلمة قيلت لطائفة من طوائفهم نهى الكلمة التي ينبغي أن تقال في الوقت الذي ينبغي أن تفعل فيه فعلها ، وهذه هي دعوة الإضعاف والتزيق كما مضى ماتكون .

والدعاية في الحرب الحديثة من أهم عوامل النصر ، ولم يكن اهتمام الدول المتحاربة بها أقل من اهتمامهم بإعداد السلاح .

ونحن نعلم مقدار ما أنفقته هذه الدول في الحرب الكبرى الثانية على وسائل الدعاية في كل مكان ، وبين أغراضها العديدة غرضان أساسيان هما :-

١ - إيقاع العدو والرأى العام بالقضية وبأنها حق .

٢ - إضعاف العدو عن القتال بإضعاف عزمه ، وإيقاع الشتات بين صفوفه .

وقد تكفل القرآن الكريم والحديث بالغرض الاول وتم ذلك على يد الدعاة .

أما الغرض الثانى فهو ما أراده النبي الكريم بدعوة نعيم بن مسعود ، وقد حالها النجاح حتى بلغ مها برجل واحد ما لم تبلغه دول كبرى بفرق منظمة ، وأموال مبدولة ، ووزارات خاصة لهذا الغرض .

الحـائـر :

وقد اشتهد من المسلمين فى هذه الغزوة ستة ، وقتل من المشركين ثلاثة ، وكان انصراف الرسول ﷺ من الخندق يوم الاربعاء ٢٢ من ذى القعدة سنة خمس . أى أنه أقام فى الخندق أول من الشهر .

الطعام والاسعاف :

كان الطعام يأب من المدينة تحمله نساء المسلمين ، وكذلك كان الماء . وكان فى مسجد المدينة خيمة فيها امرأة تدعى رفيدة كانت تداوى فيها الجرحى من المسلمين ، عن لم يكن لهم من يقوم عليهم ولما أصيب سعد بن معاذ بسهم فى الخندق حمله بعض المسلمين على حمار إلى هذه الخيمة ليداوى فيها .

أهم الدروس :

ويمكن أن نخرج من هذه الغزوة بثلاثة دروس مهمة وهى :-

١ - اهتمام الرسول عليه الصلاة والسلام بالاستصلاح ورتبع أنباء الأعداء .

٢ - مفاجأة العدو بحفر الخندق .

٣ - استخدام الدعاية كسلاح ؟

محمد جمال الدين محفرظ

لغويات

محمد باع كتابه ، يا على انظر في كتابك ، يا زينب الزمي دارك

وهذا أيضاً بحث في العامية يلحق بما أسلفته في جزء شعبان من عامنا هذا . فقد تكلمت على الأساليب : « اشربة » ، منه ، عنه ، وخزجتها على نقل ضمة هاء الغيبة إلى ما قبلها ؛ وسقت على ذلك نصوص النحاة . والامر مقصور عندهم على ما يكون ما قبل الهاء فيه ما كنا : كما في الامثلة التي دنتها في المبحث . فأما ما سطرته في مبحث اليوم فإن ما قبل الهاء متحرك ، وليس هذا مألوفاً في العربية أن تنقل الحركة إلى المنحرك ، فإن معنى هذا إثارة حركة على حركة لغيره . ووجب ، فلا يدخل هذا فيما سوغه النحاة ونسبوه إلى العرب . على أن تخريجه على توسع العامة في أمر سلكه العرب ، وعلى انحراف فيه عما اشترطه أصحاب اللسان . ويجري هذا كثيراً في لسان العامة ، وقد تولدت عنه أساليب عامية كثيرة منشؤها التوسع والرخص . وتري في العبارة الأولى : « محمد باع كتابه ، توسعاً من جهة واحدة ؛ إذ فيه نقل حركة الهاء إلى متحرك ، وفيها بعدها توسع من جهتين ؛ إذ فيه نقل حركة ضمير غير الهاء إلى متحرك . »

وبعيني في هذا الموطن أن أذكر أن هذا التوسع قديم . وعسى أن يكون لغة رديئة يشؤها الرواة وينكرونها ، فقد روى لأعشى همدان هذا البيت :

من دعا لي غزيريل أربح الله تجارتته

بضم تاء ، تجارتته ، وهي في موقع المفعول ، فأنكر الأصمعي هذه الرواية واتهم راويها ابن داب بالوضع والانتحال ، ونفى أن يكون أعشى همدان قال هذا وفيه خطأ بئس . وتراه (١) يقول : « العجب من ابن داب حين يزعم أن الأعشى قال هذا . سبحان الله ! يحذف الألف قبل الهاء في اسم الله عز وجل ، ويسكن الهاء ، ويرفع تجارته ، ثم يجوز

[١] انظر في هذه القصة معجم الأدباء طبعة الحلبي ١٦ / ٦٤ ، والافاني (بولاق) ١٥٨ / ٥

هذا عنه وبروى عن مثله ، . وكان الاصمعي متزمتا في اللغة ينكر كثيرا مما صح فيها . وكان عيسى بن داب من اعلام الادب والرواية ، وقد نادى المهدي والهادي ، وكان له الحظوة عندهما . وإذا كان هذا الشعر وضعه ابن داب على ما فيه من الخطأ فقد كان هذا الخطأ معروفا في أيامه في لسان العامة - على الأقل - فهو يؤرخ لنا هذا الأسلوب . وعندى أن أقوم ما يخرج عليه هو نقل حركة الهاء إلى ما قبلها .

وفي بيت الاعشى ما ينقد من جهة المعنى . وذلك أنه يطلب من يدعو له حبيبه أن يحضر عنده ليواصله . وهذا ابتذال للمحبوب ليس من مذهب الشعراء الغزليين ؛ فإهم يصفون الحبيب بالخمر والتنمغ والإباه ، ويصفون نهم المشاق وارتكاب الصعاب للوصول إليه ، فكيف أن يدعى فيحضر عند المحب . ولا يدخل في هذا الباب قول عمر بن أبي ربيعة :

من رسول إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فالرسول يذهب خفية إلى الحبيب ليحسن السفارة ويمهد السبيل للقائه وما يجري هذا المجرى ، وفي هذا عزة الحبيب لا ابتذاله ؛ كما وقع فيه هذا الشاعر . ويشبه هذا ما وقع في أغنية مصرية قديمة فيها هذا البيت :

حبيبي حبيبي تحبها تهاويه على باناسي

فقد حكى أن اللورد كرومر شهد بحاس غناء فسمع هذه الاغنية ، فسأل أن تترجم له . فلما وقف على المعنى قال : لا جرم أن هذا محب كسل ، إذ لا يدفعه حبه أن يسعى إلى حبيبه ، ويكاف الناس أن يجلبوه له ليستمتع به ، وذكر أن هذا مما نضح به كسل المصريين ، وقد أذكرتني هذه الحكاية أن الاعشى كان يقضى فارس ، وأن كسرى سمعه يفسد الشعر فسأل عنه فقيل له : هذا شاعر العرب . فقال ما يقول ؟ فقيل له يقول :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق ا وما بي من سقم وما بي معشق

فقال كسرى : فسروا لنا ما قال . فقالوا : ذكر أنه سهر من غير سقم ولا عشق ، فقال كسرى : إن كان سهر من غير سقم ولا عشق فهو لص . وكلا الرجلين أعجمي لا يفقه ، فذهب العرب ، فصاحب الاغنية المصرية رجل تدلته في حبه وتحمير في أمره ، أعياء الوصول

إلى من يحب فلجأ إلى الناس ، وكسرى حصر دواعي السهر في السقم والعشق والتلصص ، وهذا غير صحيح ، فدواعيه كثيرة . وكأنني بك تذكر أني دافعت عما نقده الاعمشى ، وفي الواقع أن هذا دفاع ضعيف واهى القوى .

سلمته الكتاب . استلمت مبلغ خمسين ديناراً

١ - المثال الأول يبدو سليماً لا يجاني العربية ، ومع هذا فالذي في المعاجم : سلمت إليك الكتاب . ففي القاموس : د وسلمته إليه تسليماً فتسلمه أي أعطيته فتناوله . وفي المصباح : د سلم الوديمة لصاحبها - بالثقيل - : أوصلها ، فتسلم ذلك . فقد بان من هذا أن الفعل يتعدى إلى الآخذ بحرف الجر (إلى أو اللام) . ويمكن تخريج هذا على تضمين التسليم معنى الإعطاء ، والتضمين باب واسع يقبضه بعضهم .

٢ - والمثال الثاني فيه أمران غير مألوفين في العربية :

(١) الأول استعمال الاستلام في الآخذ ، أو مطاوعاً للتسليم ، والذي في اللغة في ذلك التسلم : كما سلمت لك في نصوص اللغويين ، وقد تذهب على هذا كتاب عصرنا ، فهجروا الاستلام إلى التسلم . وقد حدثني الصديق الأجل الأستاذ أحمد نجاتي - مد الله في حياته وأمتع به - أنه أول من نبه على هذا الخطأ ، فقد كان مدرساً في مدرسة الناصرية في سنة ١٩٠٦ أو سنة ١٩٠٧ وقدم إليه صك (وصل) ليكتب بخطه (يوقع) على تسلم مبلغ من المال لقاء عمل من أعمال الامتحان ، وفيه استلمت مبلغ ... فرج هذه الكتابة وضرب عليها ، وكتب تسلمت في مكان استلمت . ورفع هذا إلى ناظر المدرسة فسأل الأستاذ بأبان له وجه ما فعل ، فأمر الناظر - وكان له شأن في الدولة حينذاك - بامتنال ما رأى الأستاذ ، وعرف هذا وترسمه الكتاب ، وقد أصبح معروفاً أن الاستلام في اللغة لمس الحجر ، إذ هو مأخوذ من السلمة للحجرة ، والجمع السيلام كالأكتحال من الكحل والادهان من الدهن ، ومنه استلام الحجر الأسود ، فهو لمسه باليد أو الفم لتقبيله ، ويرى بعضهم أن استلام الحجر الأسود من السلام وهو التحية ، ويؤيد رأيه هذا بأن أهل اليمن يسمون الحجر الكريم المحيا .

وقد بدا لي تخريج الاستلام بمعنى الآخذ - كما يستعمله العامة - على التوسع والتجاوز

فالأخذ للشئ وتناوله يسبقه لمسه ، فلما كانت بينهما هذه العلاقة صح أن يعبر بأحدهما عن الآخر . وقد جاء في بردة البوصيري :

ولا التمس غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من غير مستلم

فقال الشيخ خالد الأزهرى المتوفى سنة ٩٠٥ هـ في كتابته عليه : « والالتماس : الطلب . والغنى : اليسار ضد الفقر . والدارين : الدنيا والآخرة ، ومن يده أى نعمته وإحسانه . واستلمت الندى أى أخذت العطاء . وقال الشيخ إبراهيم الباجورى المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ : « وقوله : إلا استلمت الندى أى إلا أخذت . فالمراد بالاستلام هنا الأخذ : كما فى قولهم : استلمت معروفه ، على سبيل التجوز ؛ لأنه فى الأصل الدس باليد أو الفم ؛ كما فى قولهم : استلمت الحجر ، . وقد بدا لى فى بيت البوصيرى أن يحمل الاستلام على معناه المعروف فى اللغة ، وهو الدس باليد أو الفم ، والندى على الجود والسكرم لا العطاء والخير . يقول : إذا التمس الغنى من يده فإنه يلدس الجود فيها ويستلمه كما يستلم الحجر الأسود لحيا المقبل . والحطب فى هذا سهل يسير .

(ب) والأمر الثانى استعمال المبالغ فى القدر من المال كما يستعمل عند الناس . يقولون لفلان على مبلغ من الماء ، وكأن وجه هذا أن المبالغ — وهو مصدر ميمي بمعنى البلوغ — أطلق على البالغ ؛ كأن المال بلغ كذا من العدد أو المقدار .

ويعينى هنا أن أورد نصا لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٣ هـ . فهو يقول فى الدرر السكامة فى أعيان المائة الثامنة ١/٦٤ فى ترجمة جمال الدين بن العديم الحلبي : « وقرأت بخط البرهان المحدث أن ابن العديم هذا ادعى عنده مدع لى آخر بمبلغ أنكرك . فأخرج المدعى وثيقة فيها : أفر فلان بن فلان ، فأنكر المدعى عليه أن لاسر المذكور فى الوثيقة اسم أبيه : قال له : فما اسمك أنت ؟ قال : فلان . قال : واسم أبيك ؟ قال : فلان . فسكت عنه القاضى وتشاغل بالحديث مع من كان عنده حتى طال ذلك ، وكان القارىء يقرأ عليه فى صحيح البخارى ، فلما فرغ المجلس صاح القاضى : يا ابن فلان ، فأجاب المدعى عليه مبادرا . فقال له : ادفع لغريمك حقه ، فاستحسن من حضر هذه الحيلة التى استغفل المدعى عليه ، حتى التجأ إلى الاعتراف ، . وقوله : استغفل المدعى عليه أى تخين غملمه ، وعائد الموصول محذوف أى استغفل بها .

رأس الناس في زمانه

عامر الشعبي سنة ١٠٥ هـ

روى الخطيب البغدادي بسنده ، وابن عساكر في تاريخه ، عن أبي أسامة قال : كان عمر ابن الخطاب رأس الناس في زمانه ، وهو جامع (لالم) (١) . وكان بعده ابن عباس في زمانه ، وكان بعد ابن عباس في زمانه الشعبي . وكان بعد الشعبي في زمانه سفيان الثوري .

وأخرجنا خبراً آخر عن الزهري (وحسبك به) قال : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، و عامر الشعبي بالكوفة ، والحسن بن أبي الحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام .

وأنت - أيها القاري الكريم - تستطيع أن تقول في التعليق على هذين : إن الإمام الزهري أنصف هؤلاء الثلاثة المعاصرين للإمام الشعبي لجعل تفوقه وامتنازه في دائرة معينة هي

وتذكرني هذه الحكاية قصة سمعتها في حديثي عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده عليه رحمة الله - ولا أحق هذه النسبة - فقد ادعى لديه - حين كان قاضياً - امرؤ على آخر بدين وأعوزته البينة ، فقال القاضي للبدعي : أين أعطيتك المال ؟ فقال : تحت الشجرة العلائية . فقال القاضي : اذهب فأحضر تراباً من هذا المكان ، وكان المكان قريباً ، وأرسل القاضي سراً إلى الرجل أن يبطئ في العودة ولا يعجل وأمر غريمه أن يبق في مجلس القضاء وطال المقام على الرجل وأخذ الممل واستبطأ صاحبه ، وانجه إلى القاضي يشكو إليه هذه البطء ويصف أن الشجرة في مكان قريب وما كان له أن يغيب مكانها ، فعد القاضي هذا اعترافاً من الرجل وقضى عليه لغريمه ، ويروي من هذا كثير في تاريخ القضاء ، تنبؤ عن زكائهم

محمد علي النجار

وفظانهم ؟

(١) انفراد بهذه ابن عساكر .

رأس الناس في زمانه

عامر الشعبي سنة ١٠٥ هـ

روى الخطيب البغدادي بسنده ، وابن عساكر في تاريخه ، عن أبي أسامة قال : كان عمر ابن الخطاب رأس الناس في زمانه ، وهو جامع (لالم) (١) . وكان بعده ابن عباس في زمانه ، وكان بعد ابن عباس في زمانه الشعبي . وكان بعد الشعبي في زمانه سفيان الثوري .

وأخرجنا خبراً آخر عن الزهري (وحسبك به) قال : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، و عامر الشعبي بالكوفة ، والحسن بن أبي الحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام .

وأنت - أيها القاري الكريم - تستطيع أن تقول في التعليق على هذين : إن الإمام الزهري أنصف هؤلاء الثلاثة المعاصرين للإمام الشعبي لجعل تفوقه وامتيازه في دائرة معينة هي

وتذكرني هذه الحكاية قصة سمعتها في حديثي عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده عليه رحمة الله - ولا أحق هذه النسبة - فقد ادعى لديه - حين كان قاضياً - امرؤ على آخر بدين وأعوزته البينة . فقال القاضى للبدعي : أين أعطيتك المال ؟ فقال : تحت الشجرة العلائية . فقال القاضى : اذهب فأحضر تراباً من هذا المكان ، وكان المكان قريباً ، وأرسل القاضى سرّاً إلى الرجل أن يبطئ في العودة ولا يعجل وأمر غريمه أن يبق في مجلس القضاء وطال المقام على الرجل وأخذ الممل واستبطأ صاحبه ، وانجه إلى القاضى يشكو إليه هذه البطء ويصف أن الشجرة في مكان قريب وما كان له أن يغيب مكانها . فعد القاضى هذا اعترافاً من الرجل وقضى عليه لغريمه ، ويروي من هذا كثير في تاريخ القضاء ، تنبّه عن زكائهم

محمد علي النجار

وفظانهم ؟

(١) انفراد بهذه ابن عساكر .

الكوفة ، ولم يطلق الامر كما أطلقه أبو أسامة الذى جعله سيد علماء زمانه ، بل سيد الناس على الإطلاق ، وإن كان الخطب فى هذه الثانية مما يهون أمره لأن من سبق العلماء فقد سبق الناس جميعا . على أن خبر أبى أسامة الاول قد يحمل على قوة الاعتداد بالإمام الشعبي وتفضيله على الأئمة مما شاركوه فى مرتبة الإمامة ، فإنها مما يقال بالتشكيك كما يقول (أهل المنطق) .

ومما يكن فإن الذى يعينى فى الأمر أن أضع صورة فى نفس القارىء الكريم ، لهذا الإمام العظيم ، يدركه منها بوصف عام ، على أن أفصل له بعض النواحي التى أرجو أن يجد فيها الاسوة الصالحة والمثل الصالح ، فحسبك أيها القارىء من رجل يقرن بعمر وابن عباس من غير تمكبر ، ثم بسعيد بن المسيب والحسن البصرى اللذين أفضت لك فى الحديث عنهما بما كان عجبا .

حقاً لقد كان هذا الإمام أمجوبة من الاعاجيب ، يفتى وأصحاب محمد ﷺ شهود ، ويدرس العلم بحيث يسمعون فيه جيون .

ولقد رأى خمسمائة من الصحابة فأخذ عنهم : منهم على والحسن والحسين وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن جعفر وأسامه بن زيد وجابر ابن عبد الله وأنس بن مالك وغيرهم وغيرهم .

ولقد رأى ملك الروم فهدد عبد الملك بن مروان عليه حتى أغراه بقتله ، وادكته ازداد استمساكا به وحرصاً عليه ، وهكذا العلم النافع وصفاء النفس ومواصلة الدرس .

نشأة الشعبي وحياته

ولد هذا الحبر العظيم لست خات من خلافة عمر عام جلولا كما حدث عن نفسه وكان ذلك سنة سبع عشرة من الهجرة النبوية .

ونشأ بالكوفة وهى يومئذ مركز للعلم يؤمه الصفوة من أصحاب محمد ﷺ وأئمة التابعين ، واستمر بالكوفة لا يقطع ذلك إلا مدة فر فيها إلى المدائن هرباً بدينه وعقيدته ونفسه من المختار الثقفى ، وبعض أسفار أخرى دل عليها ما تفرق من أخباره بلا تعيين ولا تحديد للمدة ، ولكن الكوفة كانت هى المركز والمقر له تشد الرحال إليها من أجله ، ويفر الناس إليها من كل فجح للتضلع من فيضه ، ويوصى المقيم المسافر أن يرجع على هذا الخضم الزاخر .

قال أبو بكر الهذلي : قال لي محمد بن سيرين : إذا جئت الكوفة فاستكثر من حديث الشعبي ، فإنه كان ليسأل وإن أصحاب رسول الله ﷺ لا حياة .

ولقد كان الإمام ابن سيرين قدم الكوفة من قبل ورأى الشعبي في حلقة الجامعة وأصحاب رسول الله ﷺ بها يومئذ كثير . ورأى حب أصحاب رسول الله ﷺ له وحبهم عليه ومقدار ما أفاد من علم ودين ، فنصح للناس باتباعه والاختذ عنه ، وكذلك العالم الرباني الصادق لا يحسد أخاه العالم ، وإنما يراه خبير عون له في تحقيق مهمة العلم والإصلاح . اللهم فترفيقك وهدايتك .

وقد دلت أخبار الشعبي أن عبد الملك الخليفة استأثر به حينما من الدهر ، يحظى بمجلسه وينتفع بمذاكرته ، ويأخذ كل عن صاحبه . وإذا قلت ذلك فإنما أشهد لعبد الملك رحمه الله بشهادة يسجلها التاريخ له فقد ثبت أنه كان عالماً جليلاً وحافظاً أدبياً ورارية ناقداً (١) وقد اعترف الإمام الشعبي وهو الأديب الفاضل فقال : ما حدثته بحديث إلا زادني فيه .

وجاء في أخبار الشعبي أيضاً أن عبد الملك استقضاه كما استقضاه الإمام العادل عمر بن عبد العزيز من بعد . وورد في أخباره أن والي مصر أخا الخليفة عبد الملك طلبه من الخليفة ، فقبل أن يذهب إليه على أن يكون عنده شهراً ، ولم يرفض الإمام الشعبي ذلك ، وقد كتب عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز كتاباً يقول فيه : « إني آثرتك به على نفسي فلا يلبث عندك إلا شهراً أو نحو شهر ، وهو اعتراف يدل على مبالغ ما كان في أولئك القوم من حب للعلماء مهما تبلغ منزلة الواحد منهم وتنافسهم على الانتفاع بهم وإن كانوا هم على جانب من العلم خطير . فكما زادت المنزلة العلمية في المره حرص على أن يضاعفها ، ولا سيما إذا كان العلم مما يحصن وضعه ، ويصلح أمره ، وما أحوج الأمر إلى العلماء إذا أنصفوا .

وكل هذه الأخبار المتفرقة في تاريخ الإمام الشعبي لا نعرف تحديداً لازمتها ولم نقف على تعيين أوقاتها .

ثم استأثرت رحمة الله بهذا الإمام في سنة ١٠٥ للهجرة النبوية عن اثنين وثمانين سنة .

[١] المجلة - وأفضية عبد الملك دونها مالك [للوطأ] على أنها أحكام متبعة . وكان تدوينه لها في دولة بني العباس .

من صفات الشعبي

أما ما عرف من صفاته الجسمية فقد كان ضئلاً نحيلاً لأنه كما قالوا زوحم في الرحم وقال ابن قتيبة في المعارف : إنه ولد مع أخ له بعد أن بقي في بطن أمه سنتين .

وأما صفاته المعنوية فأهمها .

١ — العلم العجيب والعقل النادر والذكاء البالغ ، فأنت قد رأيت أنه قرن بهجر ابن الخطاب وابن عباس من سابقه ، وقرن به سيد التابعين والحسن البصرى ومكحول الشامى من معاصريه .

وحسبك من رجل : أبو حنيفة والأوزاعي من تلاميذه ، يذكره قرينه مكحول إمام الشام فيقول : ما رأيت أعلم بسنة من الشعبي ، ويعرف به أبو مخلد فيقول : ما رأيت فيهم أفقه منه . ويؤوه به بعد ذلك الشافعى فيقول : إنه في كثرة الرواية مثل عروة . ويوصى به الإمام البصرى من يقد على الكوفة ليغتنم الفرصة للأخذ عنه .

ويتحدث هو عن نفسه فيقول ما كتبت سوداء في بيضاء ، ولا حدثنى أحد حديثاً فأحببت أن أعيده ، ولقد نسيت من العلم ما لو عرفه أحد لكان به عالماً ، وما سمعت منذ عشرين سنة رجلاً يحدث بحديث إلا أنا أعلم به منه . ويقول ما أدري شيئاً أقل من الشعر ، ولو شئت لأنشدتكم شهراً لا أعيد . فسبحان من يمنح مثل هذا العلم ، وذلك الحفظ . وسبحان من وهب بعض النفوس من الإقبال والحرص ولا تقطاع مع الذكاء والصفاء ما تبلغ ذلك المبالغ الخطير . ذلك معنى لا يزاحم فيه الشعبي رحمه الله إلا قليلاً .

وفي مناسبة علم الشعبي بالشعر والأدب وتحصيله وحفظه أستطيع أن أتبه القارىء الكريم إلى أنه كان فصيحاً قويم اللسان مع ما دخل يومئذ من اللحن على عالية القوم وأفاضل أهل العلم . وقد تذبذبت الأصمى إلى ذلك المعنى فنبه عليه حين قال : أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي وعبد الملك والحجاج وابن القزيرة . على أن من الناس من ينازع في سلامة الحجاج من اللحن ويذكر دليلاً على ذلك فيما لا مجال لشغل القارىء به . وسترى بعض ذلك في هذه الكلمة عند مناسبتها

٢ — كان رضى الله عنه حسن الاقتداء ، حسن الاتباع ، من كثرة ما أخذ من العلم النافع ، ومن لقي من أصحاب السيد الرسول نجوم الاهتداء ، ومن صفاء نفسه وهداية الله واطفاه وتعمده . وإذا اجتمع العلم النافع والوسط الشريف والمعدن الكريم كان جديراً مع التوفيق أن يهدى إلى الحق ويعلم الدقة في الاعتدال . ومما أثر عنه رحمه الله أنه كان يقول : افتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة . والله أبوه . فإن القليل الصادق المقبول ، خير من الكثير الباطل المرذول . والبدعة شر باطل ، فالزيد منها شر ، والاستكثار منها غرور مهما قيل إنها دين أو عبادة .

٣ — كان في مزايا الشعبي من العلم الغزير والخلق الفاضل واللسان الحلو والمنطق السائغ ما يترك أثره في النفوس ويجعله موضع الإقبال والقبول ، وكان الرجل يخرج في حاجة أهله إلى السوق فيعرج على المسجد وإذا هو بالشعبى فينسى أمره حتى ينفض السوق ، ثم يذكر حاجته فيقول للشعبى : أى مبطل الحاجات ! ولهذا كان ينشر علمه في بيته وفي المسجد وفي السوق ، فإذا رأى قوماً جالس معهم وعلمهم وذكرهم . ولملك إذا قرأت قصته مع ملك الروم علمت كيف يكون أثره حتى في نفس عدوه ، ولو كان ملكاً تحف به الجنود .

وإجمال القصة : أن عبد الملك وجهه إلى ملك الروم لإظهاره لفضل الإسلام وعلمائه ، فأعجب به ملك الروم واستبقاه مدة ، ولم يكن ذلك لأحد عند ملك الروم قبله ، وذلك أنه ما سأله عن شيء إلا كان التوفيق حليفه ، ثم أرسل معه رسائل إلى عبد الملك لخرج بها من عنده ، ثم استدعاه ثانية ودفع إليه ورقة ليوصلها وكتب فيها : عجبت لقوم يكون هذا فيهم ولا يملكونه . وإنما أراد أن يقتله عهد الملك ، لأنه حسده عليه كما فهم ذلك عبد الملك ، ثم ذهب بها إلى عبد الملك ولم يقرأها كما هو أدب الرسل ودأبهم ، ولا سيما مع الملوك والخلفاء .

ولما قرأها عبد الملك عرضها على الشعبي فقال الشعبي على البديهة : إنما قال ملك الروم ذلك لأنه لم يرك . فقال عبد الملك : إنه حسدنى عليك فأراد قتلك .

٤ — كان في الشعبي أدب وتواضع يتجلى في ابتذاله نفسه لله والعلم مع تنافس الملوك عليه وكثرة المجالين والوافدين . على أن الظاهر من أخباره وسيرته أنه كان مرناً جداً

مع الاحتفاظ بكرامة العلم . وكان أهدأ نفساً من مثل الإمام الحسن فلم يرو أنه اصطدم مع خليفة أو أمير . وسترى حكايته مع الحجاج لما أخطأ أمامه .

كان الشعبي مؤدباً مهذباً متواضعاً راضياً محبوباً من جميع الأوساط ، لأنه ينزل كلا منزلته ، ويخاطب كلا على مقدار عقله . وهو مذهب يدعو إليه الدين ويأمر به ويتصل به التصوف في بعض مسالكه .

وكان كثيراً ما يقول لا أدري مع ثلوثه . وقال له أصحابه يوماً : إنا لنستحي من كثرة ما نسألك فنقول لا أدري ، فيقول : إن ملائكة الله المقربين لم يستحووا حين سئلوا عما لا يعلمون فقالوا : لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العالم الحكيم ، وكان يقول : ليتني أنفقت من عملي كفافاً لا على ولا لى . ويقول : إنا لسنا بالفقهاء ولا بالعلماء ، ولكن سمعنا الحديث فرويناه ، وإنما الفقيه من ورع عن محارم الله ، والعالم من خاف الله . على أنه كان يتحدث بنعمة الله كثيراً كما مر بك في الحديث عن علمه وحفظه ، مما يعد شكراً وحفظاً على العلم والجد في طلبه وتزكية النفس به .

وذكر ابن عساكر فيما يرويه عنه أنه كان إذا سئل عن معضلة قال :

زباء ذات وبر أعيت صاحبها ، لو عرضت على أصحاب محمد ﷺ لأعضلت بهم (١) . وهذا اعتذار منه بحق ، وبيان لسبب إحجامه عن الإفتاء في مثلها .

٥ — كان لطيفاً طيب النفس يستجم بشيء من المزح ويترخص في ذلك بما ترخص به السيد الرسول صلوات الله عليه وسلف الأمة .

دخل عليه رجل مرة ومعه السيدة زوجته فقال : أياك الشعبي ؟ فأشار إلى زوجته وقال : هذه ا وفي ذلك أيضاً لطف التعبير عن غباوة الرجل ، إلا إذا كان كلاهما مازحاً . ومن لطيف ما ورد عنه أن الحجاج قال يوماً : كم تطاهك ا (بالفتح) فقال : ألفين ا فقال : ويحك كم عطاؤك ؟ قال : ألفان . قال : كيف لحنت أولاً ؟ قال : لحن الأمير فلحنت ، ثم أعرب فأعربت ، وما أمكن أن يلحن الأمير فأعرب . وهذا اللحن هو الذي نهيتك عليه حين سمعت لك عبارة الأصمعي من أن الحجاج لم يلحن .

(١) الزباء : الناقة إذا كثرت الثمر على حاجبها ، فهي تنفر كلما رأتها وتمتع صاحبها .

وبعد فقد خشيت أن أوغل بك فيمثل عليك نشاطك . فإن الإمام الشعبي خضم عظيم .
على أنني سأعجل لك بشيء مما أثر عنه ، ربما كان فيه انتقال واستطراف مع أنه قليل يسير .
يروى أنه قال :

اقتصاد في سنة ، خير من اجتهاد في بدعة (١) . أحب أهل بيت نبيك ولا تكن رافضاً .
واعمل بالقرآن ولا تكن حرورياً (٢) وأطع الإمام ولو كان عبداً حبشياً . واعلم أن ما أصابك
من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا تكن قدرياً (٣) . ما رأيت أغاظ رقاباً (٤)
ولا أرق ثياباً (٥) ولا آكل لطعام من قراء هذا الزمان . ليس حسن الجوار يكف أذاك
عن الجار ، ولكن حسن الجوار أن تصبر على أذى الجار . وشتمه رجل فقال : إن كنت
صادقاً فغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك .

وروى ابن عساكر بسنده أن الشعبي كان إذا جلس مجلساً يقيم منه حتى يقول :
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وأشهد أن الدين
كما شرع . وأشهد أن الإسلام كما وصف . وأشهد أن الكتاب كما أنزل . وأن القرآن كما حدث .
وأشهد أن الله هو الحق المبين . وإذا ذهب لينهض قال : ذكر الله محمداً بالسلام .

رحمه الله وسلف الأمة رحمة واسعة ، وجعل لنا في سيرتهم الطيبة أسوة صالحة مصلحة ،

محمود النواوي

[١] تقدمت في الحديث من اتباعه ، ولكن لها موضوعاً مقبولاً هنا .

[٢] يقول : لا تشدد فيه كالحوارج .

[٣] لا تشكر النذر .

[٤] كناية عن السن وهو مريب في القراء .

[٥] يريد الترف .

منبر المسجد الاقصى

رمز الفتوح

في مقدمة ما بلغت نظر الزائر المتبصر في المسجد الاقصى هذا المنبر الضخم القائم إلى جانب المحراب ونحت القبة المذهبة ، فإذا ما اقترب منه وجدته مصنوعاً من خشب الابنوس لا من الرخام ، فإذا ما حقق في تاريخه وجدته يرجع إلى ثمانية قرون . وهنا يقف متسائلاً : كيف عاش الخشب كل هذه المدة وما يزال على جانب عظيم من المتانة التي قد تبلى القرون والأجيال .

وإذا ما خفت دهشته ، استطاع أن يقرأ أسماء الذين صنعوه ، وهم أربعة من الحلبيين :

سلمان بن معلى ، وحيد بن ظافر ، وأبو الحسن بن يحيى ، وأخوه أبو الفضل بن يحيى .

ثم يسأل : هل صنعوه من أنفسهم أم بأمر أحد السلاطين ، فيجيبه التاريخ بأنه صنع بأمر الملك المجاهد نور الدين زنكي الذي تقابل بفتح القدس وأصبح يراه أمراً واقعاً لا محالة ، لما شاهد من ازدياد قوى الجهاد الإسلامي وما ترتب على ذلك من ضعف الصليبيين بعد فتحه لمملكة الرها التي تسمى الآن (أورفة) ، إلا أن الصليبيين انقلبوا فأعاقوا الفتح ، وعاجلت المية هذا الملك العظيم ففتح القدس لصالح الدين يوسف بن أيوب وهو الذي كان من نصيبه نقل هذا المنبر إلى بيت المقدس بعد صنعه بعشرين عاماً .

إن هذا المنبر رمز صادق للحروب الصليبية من وجهة النظر الإسلامية ، فقد صنعه أربعة رجال من أعلام الفن العربي ، وكان طرد الصليبيين إلى فتح القدس من عمل رجال أربعة وهم : عماد الدين ، ونور الدين ، وأسد الدين ، ورايمهم وأشهرهم صلاح الدين . ولأننا في ظرف مسائل ننظر مثل هذا التطور :

لما دام الصليبيون العالم الإسلامي كان في منتهى الضعف والانحلال ، فكانت مهمة آل زنكي لإيجاد بيئة جهاد تمكس أشعتها على العالم الإسلامي ، وكان أول من قام بهذا عماد الدين بن زنكي الذي كان يلي مقاطعة الموصل ، فأنصل بالاكراذ وضم إلى حاشيته من توسم فيهم الخير منهم وفي مقدمتهم أبناء شادي الذين حازوا إعجابه وتقديره : وهم أيوب ،

ونجم الدين ، وأسد الدين ، ثم لمع اسم يوسف بن أيوب الذي لقب بصلاح الدين وظهر عليهم جميعاً .

نجحت أعمال عماد الدين فغضمت إليه الجزيرة الفراتية ، وأعطى رتبة . أتاك ، أى الأمير الكبير ، فداع صيته فى صدامه مع الصليبيين ، فوسع ملكه بضم حلب وأرمينيا ، وقد قرر فى ذهن من حوله سياستين : سياسة توحيد البلاد الإسلامية ، وسياسة الجهاد لطرده الصليبيين . ولحسن حظ الإسلام أن عماد الدين أحجب ولدأ باسلا شهماً هو نور الدين الذى تولى أمر مملكته فور قتله ، وقد وجد نور الدين إلى جانبه رجال أبيه من الأكراد فولى قيادة الجيوش لآسد الدين شيركوه . فقام هو وأحواء أيوب ونجم الدين وغيرهم بضم بقاع العالم الإسلامى وتوحيدها بكل الوسائل ، فدخلت فى حوزة نور الدين مدائن حماه وحمص ثم دمشق التى استقر بها وجعلها عاصمة لملكه ، وفيها أخذ يجمع كتائب الجهاد ، ثم توجه بها نحو الرها التى أقام فيها الصليبيون مملكة كانت تقض مضجع نور الدين فى قلب مملكته ، فتم له فتحها ، وأزال هذه البقعة السوداء من الشمال ، وأصبح يستمد لتطهير الجنوب والساحل .

وفى هذه الأثناء وقع الخلاف بين وزراء مصر الفاطميين (العبيديين) فاستجد أحدهم ضرغام بالصليبيين واستجد الآخر وهو شاور بنور الدين فأنجده نور الدين بجيش على رأسه قائده الأكبر آسد الدين شيركوه . فهزم شيركوه الصليبيين وقتل ضرغام ، ثم انقلب شيركوه ، فخطمه آسد الدين وقضى عليه ، وتولى أمر مصر ، ثم توفى وكان نائب شيركوه ابن أخيه يوسف المنقب بصلاح الدين فتولى أمر مصر بعده ، وانتهت على يده دعوة الباطنيين التى كانت تتولاها الدولة الفاطمية ودعى للخليفة العباسى على منابر مصر وبذلك أعاد الله للعالم الإسلامى وحدته بحكمة نور الدين ورجاله .

ولما توفى نور الدين شهيداً سعيداً اتجهت الأنظار نحو صلاح الدين ، ولم يعش الملك الصالح طويلاً بعد أبيه نور الدين ، فأضى أمر الممالك جميعها إلى صلاح الدين ، وعلى يده تم طرد الصليبيين من القدس ؛ بعد أن مهد له ثلاثة رجال من قبله وكان هو الرابع ، وبات لزاماً على كل من يتكلم عن الحروب الصليبية أن يذكر الثلاثة الذين مهدوا وهياؤا لصلاح الدين . وبعد أن تم لصلاح الدين فتح القدس أمر بتطهير الأقصى وبنقل المنبر من حلب إلى بيت المقدس ، فكان بين صعه فى حلب ونقله إلى بيت المقدس عشرون عاماً .

كلية الأزهر

في الترحيب بالطلبة الفائزين في مسابقة (نيويورك هرالد تريبيون)

ألقاها السيد صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفيتش

السيد وزير التربية والتعليم .

السادة الزائرون الاجلاء .

باسم الأزهر ، وباسم الثقافة الإسلامية التي يتعمدها الأزهر لاكثر من ألف عام ،
يرحب الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر ، والاسرة الازهرية كلها ، بحضراتكم أجل
ترحيب ، ويقونكم أحب لقاء .

ونحن إذ نستقبلكم في هذه القاعة من رحاب الأزهر ، فإنما نستقبل وفداً كريماً أشرق
علينا من جهات عدة . آخى بينها العلم ، وربطت بينها الثقافات الادبية ، وفي هذا ما يثير
إعجابنا بهذه الاخوة الادبية ، وتقديرنا لهذا المظهر الكريم . وسيشهد الوفد في مصر شيئاً
من معالم حضارتها قديماً منذ عهد الفراعنة ، وحدثاً منذ العهد الإسلامي .

وجدير بالذكر أن نبين أن صلاح الدين كان يرى وجوب ضرب الصليبيين في عقر
دارهم فلم يوافقهم ملك المغرب . كما ذكر ابن خلدون في مقدمته وفي مقدمته قد وفي البحث
عن الاساطيل .

وفي هذا عبرة لما نشاهد ونرى اليوم من التخاذل ، وظلت فكرة صلاح الدين وأمنيته
أن ظهر العثمانيون فردوا للغرب الزيارة ، وشددوا عليهم الغارة في البر والبحر وقرت بذلك
عين صلاح الدين يوم تم فتح القسطنطينية التي كانت أحد أسباب الحروب الصليبية ، وفي تاريخ
الإسلام ووثبات أهله عبرة وذكري .

نابلس - إحصائه النهر

كلية الأزهر

في الترحيب بالطلبة الفائزين في مسابقة (نيويورك هرالد تريبيون)

ألقاها السيد صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفيتش

السيد وزير التربية والتعليم .

السادة الزائرون الاجلاء .

باسم الأزهر ، وباسم الثقافة الإسلامية التي يتعمدها الأزهر لاكثر من ألف عام ،
يرحب الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر ، والاسرة الازهرية كلها ، بحضراتكم أجل
ترحيب ، ويقونكم أحب لقاء .

ونحن إذ نستقبلكم في هذه القاعة من رحاب الأزهر ، فإنما نستقبل وفداً كريماً أشرق
علينا من جهات عدة . آخى بينها العلم ، وربطت بينها الثقافات الادبية ، وفي هذا ما يثير
إعجابنا بهذه الاخوة الادبية ، وتقديرنا لهذا المظهر الكريم . وسيشهد الوفد في مصر شيئاً
من معالم حضارتها قديماً منذ عهد الفراعنة ، وحدثنا منذ العهد الإسلامي .

وجدير بالذكر أن نبين أن صلاح الدين كان يرى وجوب ضرب الصليبيين في عقر
دارهم فلم يوافقهم ملك المغرب . كما ذكر ابن خلدون في مقدمته وفي مقدمته قد وفي البحث
عن الاساطيل .

وفي هذا عبرة لما نشاهد ونرى اليوم من التخاذل ، وظلت فكرة صلاح الدين وأمنيته
أن ظهر العثمانيون فردوا للغرب الزيارة ، وشددوا عليهم الغارة في البر والبحر وقرت بذلك
عين صلاح الدين يوم تم فتح القسطنطينية التي كانت أحد أسباب الحروب الصليبية ، وفي تاريخ
الإسلام ووثبات أهله عبرة وذكري .

نابلس - إحصائه النهر

ويشهد كذلك ما نشطت إليه مصر في ظل ثورتها المباركة ، من استكمال سيادتها غير مشوبة بسيطرة أجنبية .

وبفضل هذه الثورة ظلت مصر تسمع العالم كله أنها - كما سبقت إلى حضارات قديمة - معنية دائماً بالحضارات الناشئة ، وأنها تستوحى تاريخها ، وتستمد من عزائم أبطالها ، وأضامن شعبها ، ما يفسح لها الخطى ، إلى أهدافها السامية ، ويحفظ لها مكائنها بين الشعوب الراقية .

ولنا لتقدر للسيد وزير التربية والتعليم أن أتاح لنا هذه الفرصة المشكورة ، وندرك ما فيها من توجيهات سامية .

١ - فقد لفت الأنظار إلى أن هذه الزيارة تحية لكبار الأزهر ، باعتباره أقدم جامعة علمية سبقت إلى نشر الثقافة ، وظلت على رسالتها حتى اليوم .

٢ - ولفت الأنظار إلى أن الأزهر وإن كان في صيفته الخاصة هيئة دينية ، فإنه من الناحية العامة بيئة علمية ، والعلم كيفما كان صلة ورحم بين أهله ، وإن كانوا من أبعاد مترامية .

٣ - ولفت الأنظار إلى أن السادة الوافدين علينا - وهم طلاب علم ومعرفة - يعتبرون معنا بجنود في ميدان واحد ، وكل منا ومنهم كوحدة في جيش متحد ، يخفق عليه علم واحد ، وإن كان لكل من وحداته شارة تميزها عن سواها من الوحدات . إذ المتممون إلى العلم النافع بصفة عامة إنما ينشدون جميعاً للإنسانية أرقى مثلها ، وللحياة الاجتماعية خير مناهجها لتسعد الأمم وتسلم .

فشكراً للسيد الوزير على صنيعه ، الذي أتاح لنا ولوفد هذا اللقاء الكريم .

حيا الله بيننا رابطة العلم النافع ، وأدام بيننا المحبة والأمان . والسلام

من علوم القرآن :

معنى الأرض في مختلف الآيات

الأرض هي هذا الكوكب المظلم الذي يعيش عليه الحيوان الناطق والأعجم ، وقد ورد لفظ « الأرض » في القرآن بهذا المعنى ، وورد بمعانٍ أخرى بينها وبينه علاقة جامعة ، فيكون إطلاقه على الكوكب حقيقة وعلى غيره مجازاً . وسأورد أكثر الآيات التي ورد فيها لفظ « الأرض » ، سواء كان حقيقة أو مجازاً مبيناً العلاقة بين المعنى الأصلي والمجازي ، مع ملاحظة أن هذه المعاني قد تكون جارية على بعض التفسيرات دون بعض ، وقد تكون متحدة في جميع التفسيرات أو في كثير منها ...

١ — قال الله تعالى في سورة هود : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء » . المراد بالأرض - في أول الآية وآخرها - الأرض كلها ، أي الكوكب ، لأن الله تعالى يرزق كل دابة في أي جزء من أجزاء هذا الكوكب الذي يعيش عليه ، وقد خلق الله تعالى الأرض جميعها والسموات . ومثل هذه الآية كل آية سبق فيها لفظ الأرض بلفظ الخلق كقوله تعالى في سورة فصلت : « قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين » ، وكذلك كل آية سبق فيها لفظ الأرض بخطاب من الله تعالى لها كقوله تعالى في سورة فصلت : « ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين » ، ومثل ذلك في القرآن كثير ، كقوله تعالى : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » ، من سورة لقمان .

٢ — قال الله تعالى في سورة الأنبياء : « واقعد كئيلاً في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » ، المراد بالأرض في هذه الآية الجنة على بعض التفسيرات ، وعلى ذلك يكون معنى قوله تعالى : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » ، تبديل معالمها دون

حقيقتها ، ويكون استعمال لفظ الارض في الجنة مجازا علاقه الجزئية ، لان الجنة جزء من الارض كلها ، أما إذا كان معنى تبديل الارض تغيير حقيقتها فيكون استعمال لفظ الارض في الجنة استعارة ، لان أرض الجنة تشبه أرض الدنيا من حيث جريان الانهار فيها ونمو الأشجار والثمار منها ، وقيل المراد بالارض أرض الدنيا وورثة الصالحين لها بالحكم فيها بعد حكم غيرهم ...

٣ — قال الله تعالى في سورة الاعراف : د وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها . المراد بالارض أرض فلسطين وبيت المقدس ، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الانبياء أيضا في شأن إبراهيم عليه السلام : د ونجيناه لوطا إلى الارض التي باركنا فيها للعالمين ، أى أرض بيت المقدس ...

٤ — قال الله تعالى في سورة الإسراء : د وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها . المراد بالارض أرض المدينة ، ومثل ذلك في بعض التفاسير قوله تعالى في سورة العنكبوت : د يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون ، قيل المراد بالارض أرض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . ومثل ذلك أيضا قوله تعالى في سورة النساء : د إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تك أرض الله واسعة فهاجروا فيها . قيل المراد بأرض الله الواسعة أرض المدينة ، أما الارض الاولى التي كانوا مستضعفين فيها فهي أرض مكة كما سيأتى ، ومثل ذلك قوله تعالى : د ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة . قيل المراد بالارض أرض المدينة ، وقيل المراد بالارض فى الآيات السابقة كلها الارض كلها وهذا أرجح ، لان الله لم يحدد للهجرة أرضا معينة ، وإنما ينبغى أن يكون المراد الارض كلها ...

٥ — قال تعالى فى سورة الرعد : د أولم يروا أنا نأتى الارض نقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه . المراد بالارض أرض مكة ، ونقصها من أطرافها باستيلاء النبي صلى الله عليه وسلم عليها بالفتح ، ومثل ذلك الآية التي سبقت من سورة النساء قالوا كنا مستضعفين فى الارض ، المراد أرض مكة ...

٦ — قال الله تعالى في سورة القصص : « وزيد أن ننم على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ، . المراد بالأرض الأولى أرض مصر وبالأرض الثانية أرض مصر والشام ، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة « غافر » : « وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ، . المراد بالأرض أرض مصر ، وقوله تعالى في سورة الأعراف : « قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ، . المراد بالأرض أرض مصر . . . »

٧ — قال الله تعالى في سورة السكف : « إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ، المراد بالأرض أرض الإسلام ، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة المائدة : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، . المراد أرض الإسلام . . . »

٨ — قال الله تعالى في سورة النساء : « يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً ، . قيل المراد بالأرض الزراب ، والمعنى أن الذين كفروا يودون يوم القيامة أن يكرهوا قراباً حتى لا يحاسبوا كما في قوله تعالى : « ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً ، وقيل المراد بالأرض القبر ، والمعنى أن الكفار يودون يوم القيامة أن تسوى قبورهم بالأرض وتطمس معالمها حتى لا يتم بعثهم اعتقاداً منهم أنهم إذا طمست قبورهم لا يبعث عليهم فلا يحاسبون . »

٩ — قال الله تعالى في سورة المائدة عن اليهود : « قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يذبحون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ، . قيل المراد الأرض كلها وقيل أرض التيه . »

١٠ — قال الله تعالى في سورة إبراهيم : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ، المراد بالأرض الأولى أرض الدنيا كلها وبالأرض الثانية أرض القيامة وهي أرض بيضاء نقية كما في حديث الصحيحين . وكذلك قوله تعالى في سورة « الزمر » : « وأثمرت الأرض بنور ربها ، المراد أرض القيامة . »

١١ — قال الله تعالى في سورة الرعد : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » . المراد بالأرض القلب لأن الآية على تشبيه التمثيل ، شبه الله الحق والباطل بالماء والزبد الذي يعلو فوقه وبالمعادن فيذهب هباء ويبقى الماء والمعدن ، كذلك الباطل يذهب هباء كالزبد ويبقى الحق في القلوب ، وتفسير الأرض بالقلب باعتبار ما يقول إليه التشبيه .

١٢ — قال الله تعالى في سورة نوح على لسان نوح عليه السلام يدعو على قومه : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا » : المراد بالأرض أرض قوم نوح لا الأرض كلها على القول بأن طوفان نوح كان موضعيا لا عاما ، وأن نوحا عليه السلام أرسل إلى قوم مخصوصين ولم يرسل إلى جميع أهل الأرض . وهذا هو الصحيح . ومثل ذلك قوله تعالى في سورة هود « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي » المراد بالأرض أرض قوم نوح .

وقد تبين مما تقدم أن لفظ الأرض إما مستعمل في الكوكب الذي نعيش عليه وهو استعمال حقيقي ، وإما مستعمل في أرض خاصة من جميع الأرض ، وهو استعمال على طريق المجاز المرسل علاقته الجزئية ، وإما مستعمل في شيء آخر غير الأرض كإطلاق لفظ الأرض على أرض الجنة وعلى القلب ، وهذا الاستعمال استعارة وهي مجاز علاقته المشابهة ؟

طه الزيني

من علماء الأزهر

بطل البرية كلها

قالوا : تحب العرب ؟ قلت : أحبهم يقضى الجوار بذاك والارحامُ
فحمد بطل البرية كلها هو للأعارب — أجمعين — إمام

محبوب الخوري الشرتوني

عموم التبعات والواجبات الاجتماعية

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه : ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته . رواه البخارى ومسلم والترمذى .

الراعى والرعية : من الرعى والرعاية ، ومدار المسادة فى الأعم الأغلب على أمرين :

(١) التدبير والسياسة (٢) الحياطة والحفظ . وبكل من المعنيين فسرت الرعاية . فقال اللغويون : وقيل للحاكم والامير : راع ، لقيامه بتدبير الناس وسياستهم ، والناس رعية ، وقال المحدثون فى ذلكم راع ، أى حافظ مؤتمن ، والرعية كل من شمله حفظ الراعى ونظره .
المعنى :

لما كان الإسلام دين التضامن والوحدة ، والعمل والمسئولية . وكان الناس فيه جميعاً طبقة واحدة ، وجنسا واحداً ، ولكل منهم من الكرامة الاجتماعية ما قد يبلغ مبلغ الولاية والزعامة فى أخرج الأوقات ، وأشد الأحوال ، كما يصوره قوله صلى الله عليه وسلم : المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسمى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، وذلك لأن الإسلام دين الفطرة التى لا تحتمل التكلف ، وتشريع الحقيقة التى لا تقبل الخيال .

لما كان الإسلام كذلك نظر إلى منزلة كل إنسان من المجتمع ، وميدان عمله فيه ، فوجد أن أرحب ميادين الحياة قد يفسح عن أضيقها ، وأن أعلى منازلها قد ينبئ على أدناها ، وأن المجتمع كالجسد الواحد : يحتاج فى حياته وصلاحه إلى أقل عضوه منه ، وكالبناء الشاخص : لا يبلغ مبلغه من الشموخ والرسوخ إلا بتساند اللبنة ، وارتباط الأجزاء ، فبأشد أدنى الناس منزلة فى المجتمع كالعبد ، وأعلام درجة فيه كالإمام ، وأشبههم حالاً بالضعف والمعجزة الذاتية كالمرأة ، وأصلهم فى باب القدرة والتدبير الذاتى كالرجل ، أن يؤدى كل واحد منهم أمانة الله فيما خوله من أمر ، وما استرعاه من رعية ، وأن يعلم أن الله سائله ومحاسبه عن كل ما ولاه من الأمور .

وتفصيل الرعاية والمسئولية العامتين على الوجه الوارد في الحديث اكتفاء أو تمثيل ؛ وإنما اكتفى بالملك والعبد ، والزوج وزوجه . لأن الاولين هما طرفا المجتمع من حيث المنزلة ، والآخريين طرفاه من حيث الضعف والقدرة الذاتية : فهو من التعبير بالاطراف مع إرادة الجميع ؛ ومن صريح معناه قوله صلى الله عليه وسلم « لا يسترعى الله تبارك وتعالى عبدا رعية - قلت أو كثرت - إلا سأله الله تبارك وتعالى عنها يوم القيامة : أقام فيهم أمر الله تبارك وتعالى أم أضاعه حتى يسأله عن أهل بيته خاصة ، .

فالمسئولية واقعة على كل مسلم بمقدار ما ولاه الله من أمر ، وما يسر له من عمل . وهي متنوعة بتنوع هذه الامور والأعمال . والوعيد على التنصل من هذه التبعات والواجبات أصل من أصول هذا الدين الخفيف في القرآن والحديث ؛ وبيان وجوه الرعاية مدروس في فنون كثيرة : كالفقه والتصوف والاخلاق ؛ ولو أخذ الناس بهذا المبدأ الإسلامى القويم ، فمرف كل إنسان أنه عضو عامل في الأمة ، وأنه مهمما قل شأنه ، وضؤل قدره مقوم ، من مقومات المجتمع ، ومكون من مكونات الحياة ، وأن له أثرا - وإن قل - في كل ما للمجتمع من الخصائص والصفات ، لسعدت الأمة بكل فرد من أفرادها .

فسعدت بأئمة يقيمون في رعيتهم حدود الله وأحكامه على سنن الشرع ، ولا يضيعون الإحسان موضع الإساءة ، ولا الإساءة موضع الإحسان .

ووضع الندى في موضع السيف بالعلماء مضر كوضع السيف في موضع الندى ولا يألون جهداً في تحصيل الخير لهم . ففي الحديث « ما من أمير بلى أمور المسلمين ثم لا يجتهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة ، وعن عائذ بن عمرو رضى الله عنه ، أنه دخل على عبيد الله بن زياد فقال له : أى بنى ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن شر الرعاء الخطمة (١) ، فإياك أن تتكون منهم . وليعلموا أن الله حالم من هذه الامانة التى عرضها على السموات والارض والجبال فأشفقن منها ما لم يحمله غيرهم ، ولا يسأل عنه سواهم ، وأنه جعلهم في مكان المثل والاسوة ، والإمامة والقدوة . فليتعمدوا أنفسهم ، وليتفقدوا شئونهم . فإن الناس لن يزالوا مستقيمين ما استقامت بهم أئمتهم وهداتهم . كما يقول عمر رضى الله عنه . وإن الله يزع (٢) بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، كما يقول عثمان رضى الله عنه . وقد سأل عمر بن عبد العزيز الحسن البصرى رحمهما الله أن يكتب له صفة الإمام العادل ، فكان مما كتبه له في صفته أنه قوام كل مائل ، وفصد كل جائر ، وصلاح

[١] يعنى المرف في العنف وأصله من الحطم بمعنى الكسر . [٢] يكف ويمنع .

كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفه كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف ، وأنه هو القائم بين الله وبين عباده : يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر إلى الله ويرىهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم . ثم سعدت برعية عامة لا تنزع يدا من طاعة ، ولا تشق عصا الجماعة ، ولا تمصى في معروف ، ولا تخالف في عسر ولا يسر ، ولا منشط ولا مكروه ، ولا تألوا جهدا في النصح لله ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين .

وسعدت بمربيها الذين يسطرون الأفكار والمبادئ على صفحات العقول ، وبغرسون الفرائز والمشاعر في جبال الفطر وسويداوات القلوب ، ويطبعون على المكارم والشمالل بجايا النفوس .

ثم سعدت بآباء راشدين يسوسون أمور أبنائهم وذويهم بالحكمة ، ويوفونهم حقوقهم المشروعة ، ويحببون إلى أبنائهم العلم والفضيلة ، ويرغبونهم في العمل والبطولة ، ويقونهم بالنأديب والنهذيب ما أمرهم الله أن يقوموا إياه إذ يقول : يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة .

وسعدت بفساء يحسن تدبير بيوت أزواجهم ، ويتقن الله في أموالهم وأولادهم ، ويحفظن لهم غيبتهم بما حفظ الله ، ويعملن من بيوت الزوجية جنات فاضرات يستروح بفساتمها أولئك الأزواج المكدودون في سبل الرزق ، المعنون بعناء العيش ، المحطمون تحت أعباء الحياة ، ويعملن من بيوتهن مدارس لتدريب الأبناء والبنات على أساليب الحياة الصالحة ، والعيشة الراضية ، والأعمال النافعة ، والأخلاق الطيبة .

والأم مدرسة إذا أعدتها أعددت شعبا طيب الأعراق والوعيد شديد لمن استرعاه الله رعية فضيعها ولم ينصح لها ، وقد سبق بعضه . ومنه ما رواه معقل بن يسار رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من عبد يسترعيه الله رعية - يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته - إلا حرم الله عليه الجنة .

ويأخذ المحدثون من هذا الحديث العظيم : أن الراعى ليس مطلوباً لذاته وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك . فينبغى ألا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه . ونستطيع أن نأخذ منه أيضا : أن على كل فرد من الأمة واجبا اجتماعيا يدور على دفع المضار عن رعيته ، وجلب المصالح لها في حدود ما آناه الله ؟

محمد فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

الاختلاط في التعليم

نشرت صحيفة الاهرام كلية في ، ما قلّ ودل ، تعبر عن رأى والد في اختلاط الجنسين منذ نعومة الاظفار بالتعليم لينشأ الاولاد والبنات على التقدير والثقة ، وإزالة الخجل والحيرة في مرحلة التعليم الجامعي ، ثم كتبت الدكتورة درية شفيق بصحيفة الجمهورية مقالا تؤيد هذه الواجهة ذاكرة أن الاختلاط في التعليم أساس الثقة والتكريم ، وأن الامم الراقية هي التي تجمع بين الجنسين في دور التعليم والثقافة .

ولست أعجب من شيء كعجبي من تلك الحجج التي لانكاد نقف على قدم ، ولا تثبت على دعامة قوية . فهل الاختلاط يمنع الحيرة ، ويزيل الاضطراب النفسي بدون تبادل العواطف والسقوط في الزلات والمعاطب ؟ لو كان الأمر كما يريد دعاة الاختلاط ، لفلت الجرائم الخلقية في بلاده ووقفت الغريزة الجنسية عند حدها . ولمكنا نرى ونسمع كل يوم أحاديث يندى لها الجبين ، أساسها الاختلاط والاتصال .

لسنا نشك في أن العلم قد تقدم ووسائله قد يسرت . ولكن الأخلاق من غير شك قد تأخرت ، ودعائم الأمر قد تهاوت ، ووشائج البيل قد انهارت . ومن الذي قال إن العلم والمعرفة والحضارة والمدنية الحقة أساسها الاختلاط المزمى ودعائهما الاتصال المردى غير الدكتورة ومن على شاكلتها من المقلدات والمقلدين ١١٤

لقد جرّبنا الاختلاط قرأنا آثاره ، وحمّلنا أوزاره ، وقلدنا غيرنا فصرنا تبعاً وقد كنا سادة . وآذاننا التقليد وما كان أجدرنا بالتجديد . فهل نجرب الفصل بين الجنسين في التعليم لئرى ما فيه من حسنات ، ونجنى ما فيه من خيرات ، ونحظى بتزويج البنين والبنات ؟ ولعل دعاة الاختلاط يرون معنى أن من أسباب قلة الزواج هذا الاختلاط الذي يجعل الشباب يعيبك بالفتيات ويفر من المسؤوليات والتبعات . فالاختلاط يؤثر في الأخلاق والمعادن ويعرض الفتيان والفتيات إلى مزلق لا يسلّم من ضررها المجتمع ولا ينجم آثارها الوطن . وليس أدل على ذلك مما ذكرته صحيفة الاهرام في ٢٥/٣/٥٥ أن سبعين ألفاً من الاطفال في أمريكا لا نسب لهم ، وأن السبب في تلك الكارثة الاختلاط والاتصال . فإذا تصنع الدكتورة درية بهذا الجيش الجرار الذي نشأ ضحية الإثم والعار ؟ نعم ما ذا تصنع الدكتورة

وهي المفتونة بتقليد الغربيين ؟ أنريد لمصر مثل هذه الأوزار ؟ أم تريد للبلد مثل هذا الاستهتار ؟ أم تقول إن مثل هذه الأوزار ليس فيها ضرر ولا ضرار ؟

أغلب الظن أنها لا تستطيع الدفاع الحق عن تلك الحال ، فإنها لا تقبل الجدل ولا النضال . سبعون ألفا يضيعون باسم الاختلاط والمدنية ؟ يا لله . هل انقلبت الإنسانية إلى وحشية ، وهل تحولات المدنية إلى همجية ؟ وهل صارت الحضارة مرتعاً للبعث ؟ إنا لتربأ بالبشرية أن تنحدر وفيها دين يدعو للهدى ، وضمير يؤنب ذوى الغى والهوى ، ومثل للكارم تحتذى ، وعقل يجنب الإنسان الردى . ولإني لا أعجب لدعاة الاختلاط وهذا أثره الذميمة في الدول التي أقرته ، ولا يدعون إلى فصل الجفسين في دور العلم وقد أخذت به دول غير مسلمة ، وأقره رجال التربية الروسيون بعد تجارب دائبة ، وأثبتوا أنه أصلح في تربية الجفسين وأقوم فائدة في تهذيب النفوس من الناحيتين الخلقية والعملية .

إن نبي الإسلام قرر الفصل بين المتعلمين والمتعلمات لجعل للرجال أياماً وللنساء مثلها . أخرج البخارى عن أبي سعيد الخدرى أنه قال : قالت النساء للنبي عليه الصلاة والسلام : غالبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك . فوعدهن يوماً اتقين فيه فوعظهن وأسرهن . فلو كان الاختلاط جائزاً لما كانت به حاجة إلى أن يخصص لهن يوماً .

لتطوف الدكتور ما تطوف ؛ ولتنتقل حيث شاءت ، ولتجلب لنفسها من الآراء ما أرادت ، ما دامت تجعل تقليد الغرب أسمى أمنياتها ، وقول الحق رجعية لأنه لا يوافق هواها . والشيء الذى لا يفغى لها أن تقع فيه أن تدعو إلى الاختلاط باسم الدين والحضارة ، بعد ما ذاعت هذه الاغلاط وفسدت أخلاق الغرب ومرت عدوى الفساد فى كل الطبقات فاضطربت الامور وسامت الاحوال .

ليس كل ما فى الغرب حقاً يتبع ونوراً يسطع ، وليس كل ما فى الشرق باطلاً يقطع ، وضلالاً يدفع ، ولعل ذلك هو ما دعا جامعة الإسكندرية إلى التفكير فى إنشاء كلية خاصة بالبنات تقديراً لخطر رسالتها فى هذا العهد الذى يقدر المسئوليات ويسعى إلى الخير فى خطوات موفقات فى سبيل الوطن وإسعاد ذويه . فألى وزارة التربية والتعليم كل ثناء وتكريم لسن قرار الفصل بين الجفسين فى مراحل التعليم فهو قرار عظيم يستحق كل إجلال وإكبار .

محمد صابر عاشور

مدرس بمعهد دمنهور الدينى

ليلة القدر

هي ليلة وحيدة في السنة ميزت عن جميع لياليها بعظيم قدرها ، ومن ثم سميت ليلة القدر ، يحتفل بها في الملا الأعلى احتفالاً يتضمن من مدهشات الاعاجيب ما لا يحيط به إلا الحق تعالى ، غير أنه سبحانه يطلع على بعض ذلك من شاء من خلقه . والغالب أنه لا يكشف بشئ من ذلك إلا الصالحون .

والحق الذي دل عليه القرآن والاحاديث المتسكثرة أنها لا تخرج عن رمضان ، والغالب اختصاصها بالعشر الاواخر منه ، وأرجى ليالي العشر أوتاره ، وأرجى الأوتار ليسلة سبع وعشرين ، ثم ليلة واحد وعشرين ، وثلاث وعشرين . وذهب جمع من الصحابة إلى أنها ليلة سبع وعشرين ، منهم ابن عباس ، الذي دعاه النبي ﷺ بأن يفقهه الله في الدين ، ويعلمه التأويل ، أي : تأويل القرآن ، وقد استجيب فيه هذا الدعاء ، فقد كان رضى الله عنه من أفقه الصحابة وأعلمهم بتفسير القرآن حتى سمي « ترجمان القرآن » .

وحكمة إخفائها أن يجتهد الناس في العبادة في جميع رمضان ، كما أخفيت ساعة الإجابة في يوم الجمعة ليجتهد الناس في جميعه ، وأخفى رضاه تعالى في طاعته ، وغضبه في معاصيه ، كي يعتنوا بجميع الطاعات ولا يستصغروا شيئاً منها ، ويحذروا كافة المعاصي ولا يتهاونوا بواحدة منها .

وحسبنا في عظيم فضلها ، ورفيع شرفها ، قوله تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر نزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع الفجر » . قالوا : أى ثواب العمل فيها أفضل من ثواب العمل في ألف شهر ، والروح : هو جبريل عليه السلام لقوله تعالى : « نزل به الروح الأمين على قلبك » وقوله جل وعلا : « من كل أمر ، أى : من أجل كل أمر عظيم سار قدره الله لاهل الارض العابدين ، كقبول الطاعات ، واتساع الرزق ، والبشرى بحسن العاقبة ، وغير ذلك مما تلقى الملائكة في روع المتقين وقلوب المؤمنين ، فهي ليلة بر وإحسان ، وصلة وإنعام ، ولذا قال عز وجل : « سلام هي ، أى : ما هي إلا سلام ، وأمن وأمان ، يمنع الله فيها أحداث الزمان ، وفيها تسلم الملائكة على

للمؤمنين ويصاغونهم وهم في عباداتهم ، وإن كان لا يحس ذلك منهم إلا كراتهم ، ويستمر كل ذلك من مغرب الشمس إلى مطلع الفجر .

قال العلامة ولي الله النورى فى شرحه على صحيح مسلم : د اعلم أن ليلة القدر موجودة ، وأنها ترى ، ويتحققها من شاء الله تعالى من بنى آدم كل سنة فى رمضان ، كما تظاهرت عليه الأحاديث . وأخبار الصالحين برؤيتهم لها لا تخصى . .

وقد كان عليه الصلاة والسلام يعتكف (أى يمكث فى المسجد) العشر الأواخر من رمضان ، ويعتكف معه أزواجه الكرام ، رجاء الفوز بليلة القدر ، واهتماما بشأن رمضان فى أواخره ، لإعلاما بأن المدار على الحتام .

هذا وقد فسر بعضهم قوله تعالى : د ليلة القدر خير من ألف شهر ، بخلاف ما تقدم حيث قال : (إن الغرض من ذكر الألف ، هو التأكيد لا التحديد ، وإن المعنى : أن ليلة القدر خير من شهور جد كثيرة ، بل قيل إنها خير من الدهر ^(١)) ، وعلى هذا فالمراد خير منها لا من حيث العمل لحسب ، بل من حيث أنها كانت ليلة نزول الكتاب الحكيم ، الذى تضمن من الخير للخلق والبر بالإنسانية ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، مع ما يفاض على العالمين فيها مما لا يكتبه كنهه ولا يحاط بقدره .

(وبعد) فإن أسعد أوقات العبد على الإطلاق وقت يتوب فيه إلى ربه ، ويرجع فيه عن غيه ، ويأخذ فى امتثال أوامر مولاه ، واجتناب كل ما عنه ناه . وأبرك الأوقات على هذه الأمة وقت يعودون فيه إلى التمسك بدينهم ، والتشبث بمتابعة نبيهم ، إذ بهذا دون غيره يعود إليهم مجدهم العظيم ، ومدنيتهم الحقة . إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فأبلى الله تعالى نزع أن يقرب هذا الوقت العظيم ، وأن يوفق الأمة القاندين منها والمقودين ، إلى الألفة والوحدة ، ومتابعة الكتاب والسنة ، حتى يسعدوا السعادة الحقة فى الدنيا والأخرى ، إنه تعالى مجيب الدعاء .

محمد عبد المنعم محمد زهران

ناظر مدرسة المحمودية الابتدائية

تعلقات

- ١ -

مع الثورة

في مصانع الذخيرة

١ - وأخيراً : أعفتنا الثورة من البضاعة السكلامية ، ومن خطاب برلمانية للعرش ، كنا نسمع فيها بياناً وسحراً ، ونستشف من ثاياتها أملاً وبشراً . ثم تمضى الأيام ، وتلاحق الأعوام ، فلا نراها إلا قدرة على الخداع ، واستدراجاً إلى الضياع .

وقد لجأتنا الثورة بما كنا نهمو إليه ، ولا تتوقع الحصول عليه .

وأشهد : لو أن واصفا ذرب اللسان وصف لنا ما رأينا في تلك المصانع الحربية لما بلغ وصفه من الواقع إلا ما يبلغه التمثيل بوميض البرق لوهج الشمس الضاحية .

٢ - حملتنا السيارة إلى مصنع للذخيرة في ضاحية من ضواحي القاهرة ، وبعد أن أمعنت بنا في جوف الصحراء وقفت على مدخل بناء ليس شاخ الذرى في تطاوله ، ولا أنيق الشرفات في أبعته ، ولكنته في بساطته من الخارج يهولك موقعه رهبة ووحشة ، وبوحى إليك مظهر الحراس من حوله ، وفي أبراجه مدججين بالسلاح على قدم وساق ، أن في داخل المبنى سرا خطيراً ، وأن له حرمة تقوم على رعايتها تلك النلة من نسور الجيش المصرى .

٣ - كان مأذونا لنا بالدخول والمشاهدة ، ومع ذلك كانت الدقة في المناقشة ، والتحرى عن القصد والتأكد من صدق الغرض فوق ما كنا نظن ، وأبعد مما نتوقع .

ثم ما كدنا نجتاز أول باب حتى تلقانا ضابط كريم اللقاء ، مشرق الجبين ، وهو صاحب النوبة في الإشراف على الحراسة وإدارة المصنع ، جلس إلينا في ردهة متوسطة السعة ،

وبادلتنا عبارات الترحيب ، ثم قام يطوف بنا في جنبات هذه المدينة الصناعية المصغرة ، ويخرج بنا من بهو إلى آخر ، وفي كل واحد عمل يكمل بعضه بعضا ، ويختلف نوعه عما في البهو الآخر ، والضابط السكريم يتعمدنا بالشرح التطبيقى لما تؤديه تلك الماكينات الكهربائية المنسقة في أوضاعها ، والبامرة في شكلها وعملها ، وشهدنا كيف تمر الأنبوبة النحاسية المستطيلة بتلك الاجهزة واحداً بعد آخر فيعمل كل واحد عمله فيها حتى تراها في سيرها تنهى إلى قطع في حجم القلم أو أكبر أو أقل طبقا للغرض المقصود منها ، وأنت تراها في النهاية أبايب مخروطة ، وتراها بعد ذلك تمر في سرعة خاطفة بأجهزة كهربائية أخرى يخرج منها محشوة بالرصاص الذى يهرك العمل فيه حين يصهر ، وحين يعبأ في تلك الانابيب ، وتكون مهياً للوضع في المدافع أو البندق أو المسدسات .

٤ — قضينا ساعتين في أحضان ذلك المصنع البالغ خمسة وأربعين فدانا ... وأفدنا في هاتين الساعتين ما ملأنا زهواً بمصريتنا الجديدة ، وإيماننا بأن الثورة خلقت مصر خلقاً آخر .

وحقاً كان العجب يأخذنا ما أخذنا لسكل شيء يقع تحت أنظارنا هناك : نظاما ، وتنسيقا ، وروعة .

وهذا هو العامل المصرى الذى عاش مغموراً الشخصية ، مقبوراً في مصانع الحرف الضئيلة ، وفي تلك الخربات التى كانت تفنك بشبابه في سبيل عيشه المنكود : يجلس اليوم إلى تلك المخترعات ويبدى من ذكائه وتمام استعدادة للإنتاج ما يهز الجاهلين بكفايته ، ويكبت الحائقين على نهضة مصر ، واقد حسبنا أن هذا المشهد الذى أثار فينا ما أثار من كبرياء وعزة هو غاية ما أدركته الثورة الآن .

ولكن الرحلة امتدت بنا إلى مصنع آخر ، فكان آية جديدة تفوق ما شهدنا إبداعا واتساعا ، وفيها من ضروب الصناعة ما زاد في عجبنا ، وضاعف من بهجتنا ، وكشف لنا عن أسرار فنية يودعها المرلى في رؤوس العباقرة من عباده ، وتنجلي بها مواهبهم على صفحة هذا الكون . وإنما لشاهد صدق على أن الله استخف عباده في أرضه ليعمروها بحمودهم ، ويرزوا كوامن إبداعه بنشاطهم . وإن كانت أدوات الحرب مشأمة ، ومدعاة التخريب ،

وليس فيها ما يهيج المحبين للسلام ، فقد كان من سنن الله في خلقه أن يخلق من الشر خيرا ، وأن يكون الإرهاب بالتدمير وسيلة إلى التعمير ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض .

ونحن لا نزعم أن ما أعجبنا به هو غاية ما هنالك ، ولسكنه غريب في اعتبارنا بالقياس إلى ما كنا فيه إلى سنتين مضتا ، وقد لا يكون غريبا عند من شاهدوا المخترعات الحديثة في مثل هذا الضرب من الصناعة كسبك المعادن ، وخرائط الحديد ، ونجارة الأخشاب ، والنسيج ونحو ذلك .

نعم كانت صناعة الذخيرة معروفة في مصر منذ أزمنة خلت ، ولكن ذلك شيء وما نشهده اليوم شيء آخر ، ولقد عشنا عيالا على الغير في لوازم الجيش حتى لمسنا نتيجة الجهل بها والفقر فيها على أرض فلسطين ، وكانت المأساة المحزنة هي السبب الحافز على تلك الثورة الميمونة . وحقا كما قلنا إن الشر يكون أحيانا سببا في الخير . على أن الاتجاه إلى التسليح والتأهب للدفاع ليس حتما وسيلة إلى الحرب ، وإنما هو في النظرة الرشيدة للدفاع وحماية الوطن من عدوان المعتدين إذا اقتضى الأمر ، وتلك هي سنة الإسلام وتوجيهه ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .

فثورتنا الرشيدة بما تبدي من الجدى في استصناع الذخيرة ليست عادية ولا باغية ، وإنما هي قائمة بحق الوطن وحق الدين جميعا .

وبما يزيدك رضا واطمئنانا أن الثورة لم يغب عنها في هذه المصانع أن تأخذ عمالها بالتوجيه الدينى ، فأنت ترى أول ما يواجهك فى المصنع ذلك المسجد الأنيق الذى ييمت فى النفوس ذكريات التقوى بجانب ما تبعته صناعة الذخيرة من ذكريات الحروب ، وفى اقتران الذكريين يتمثل الإيمان والقوة المسادية .

وفى الحق ان الإيمان والقوة المسادية هما مقومات الأمة ، وأحدهما من غير الآخر لا بقاء له ، وعلى هذا الأصل قام الإسلام غير باغ ولا عاد .

وتشهد للثورة ذلك التوجيه فى معسكرات الجيش ، فهى معنية بإنشاء المساجد فيها مقتنعة بأن غرس الشعور الدينى وتركيز روحه فى نفس الجندى والعامل ضمان لشخصية كل منهما

من آفة التداعي والميوعة ، ونهوض بهما إلى الوطنية المثالية التي تتأى بهما عن الانانية وتحجب إليهما الإبتار والتضحية ، فإن يسكن للثورة كبير الفضل فيما أبدت من ضروب الإصلاح على قصر العهد ، فإن من جوانب فضلها المشهود أنها لا تنساق إلى ما انسقت إليه الارستقراطية البائدة من الغفلة عن موازنة الدين ، والاعتزاز به ، والدعاية إليه .

وايس حتما بل ولا سائفا أن يساق الناس إلى الدين بالعنف والإكراه ، إذ الدعوة الإسلامية في منهجها الاصيل دعوة سلمية من طريق الإرشاد والترغيب ، ولا يكون الإكراه والترهيب إلا حين تخفق الموعظة الحسنة عند غلاظ القلوب .

فإن تكن الثورة آخذة في نشاطها بدعم الجانب الأدبي فهي آخذة بالأسلوب الإسلامى في دائرة الهدوء والتريث المتزن ، وحسبك من زعمائها أنهم فيما عرف عنهم جميعاً لا يعرفون بشيء مما عرف عن حكماء سابقين .

هذه لفتات توجه بها الأذهان الغافلة إلى صنيع الثورة فيما تعده لخدمة الوطن وفيما تحرص عليه من دعم الأخلاق ، وتقوية المعنويات ، وانتشال الأمة من مساقط العهد البائد في مراحلها كلها ، إلى أكرم أوضاعها ، مما يتفق مع تاريخها ، وتقاليدها ، ودينها ، ويصل بينها وبين حياة جديدة تفشدها برينة من اللوات التي تعكس على سمعتها أو تشوب ذكراها .

وبعد - فقد كان من العبارات الصادقة التي جرت على لسان البعض منا حينما بهرته عجائب الثورة في المصانع : (ماذا نقول : والله لقد نقلوا المانيا إلى مصر) وآخر يقول : (لو أنهم حجزوا مرتباتنا كلها للإنفاق في إعداد الجيش لآمنا بما يصنعون ، ولا عدنا نقول : فيماذا ينفق الجيش ؟)

وذلك حق ، والايام كفيلة بإظهاره ، وسيتضح الصبح لكل ذى عينين ؟

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

- ٢ -

الأزهر

ومزاعم السيدة درية شفيق

طربت السيدة درية شفيق وجمهرت بفرحتها حينما روت إحدى الصحف أن الأزهر أخذ في تمكين الفتاة من ثقافته الدينية ، وعامل على إعداد كلية نسوية تقوم على منهج إسلامي يسلك بالفنأة سبيلا أقوم في صفها ، وإعدادها للأئمة المتأهبة ، حتى تشغل حيزها إلى جانب الرجل .

وكان ولا يزال جذيرا بالسيدة درية وسواها أن تطرب لذلك الاتجاه ، وأن تتعجله ، وأن تسمى للأزهر توفيقا فيما تحدث به بعض الصحف ، وألا يلتقي في سبيل التعليم النسوي ما لقيه آتفا من المعوقات .

ونحن نقدر للسيدة درية وغيرها ذلك التفاؤل ، ونعتبره مؤازرة أدبية في تذليل الصعاب وإحقيق الأمل .

إذا ما من شك في أن هذا نهوض بالفتاة إلى المسكاة التي تخلفت عنها بعد صدر الإسلام ، حتى كأنها لم تكن شطرا من شخصية الرجل ، ولم تعد ذات أثر إيجابي في تقويم المجتمع وقوامه .

ولكن الذي نقف عنده من غبطة السيدة درية هو زعمها للناس أن الأزهر - فيما أبداه من الحرص على تزويد الفتيات بالتمهارة الدينية - مستجيب لما نادى به السيدة درية ، ونازل على إرادتها ، وأنه لشط إلى هذه الناحية بعد أن سبقته هي إلى الهماف بإعطاء المرأة حقها .

وأحسب السيدة تعرف فيمن يعرف أن الأزهر - أولا - لم يكن المسئول عن الحيلولة بين المرأة وتزويدها بالعلم النسابع ما أمكن ، بل كان ذلك لأسباب بعيدة عنه ، وليست خاضعة لنفوذه .

وإذ لم يستطع الأزهر إعداد المعاهد النسوية لم يفته أن يبت دعوته الثقافية في الأوساط على اختلافها من كل نافذة تناح له ، وأنه كما يشهد المصنفون يعلم ويكتب ويخطب ، ويذيع في الناس جميعا ، وأنه يحاضر السيدات المنليات في مجتمعات حافلة بهن في أماكن متعددة لذلك ومتعددة .

والسيدة درية تعرف فيمن يعرف أن الأزهر - ثانيا - قائم على ذلك قبل أن توجد هي في الدنيا بقرون وقرون ، فليس من الصدق واحترام الأفهام أن تزعم للناس في حراة غير معهودة أن الأزهر استجاب لدعوتها ، وأنه أدرك بإرشادها أن المرأة نصف المجتمع .

فأبسط الناس معرفة بالتاريخ ، وصلة بتعاليم الإسلام ، يعلم أن الدعوة الدينية موجهة إلى الجنسين ، وأن المرأة المسلمة في صدر الإسلام نقلت الدعوة كما تلقاها الرجل ، وجلست في مجالس العلم كما جالس الرجل ، وأنها قامت بذعبيها من الرواية والبلغ كما قام الرجل . . . فليس مقبولا أن تزعم السيدة أن هذا تنبه من الأزهر ، وأنه كان صدق لدعوتها هي ، وهي بنت اليوم القريب .

والسيدة درية تعلم فيمن يعلم - ثالثا - أنها مع من يناصرها في ناحية ، والأزهر في ناحية ، فهي تدعو إلى جلوس المرأة بمجالس الرجال ومع الرجال في كل شأن ، أو هي تدعو إلى ترحيل المرأة ، وانحلالها من خصائصها إلى خصائص الرجال .

والأزهر لا يتابع في هذه الدعوة أحدا ولو تظاهرت عليها دريات الأرض جميعا ، ولا يمكن أن يرى الملتج حول هذا من الصواب في قليل ، ولا يستبجح أن يخرج بالمرأة عن دائرتها الكريمة التي هيأها لها الفطرة ، ولا يستطيع الرجل أن يزحمها بها ، كما لا تستطيع هي أن تسير الرجل في كل ناحية وإن تيسرت لها بعض النواحي .

وإنما يحرص الأزهر على تفويم شخصية المرأة تفويما أدبيا حتى لا تظل على نفسها ، وحتى تكون أصلح للحياة . وأجدد بمزاوجة الرجل في المجتمع المنشود ، ويكون الرجل بها أرفر حظا ، وأكرم بيته .

وذلك مكفول إذا تقاربا ثقافة مع بقائها على أنوثتها وبقائه على رجولته .
أما أن تكون امرأة في طبيعتها وطابعها ، وفي هندامها وزينتها ، وتكون رجلا مع الرجل

خارج البيت وفي مزاحم الرجال ، وفي الغياب عن خدرها ، والتجول والأسفار هنا وهناك ،
فذلك بحفاة المطرفة . وانقراض على الحياء الذي هو حلية طبيعية للمرأة ، وتناثرت إلى مدينة نسوية
مانعة ، ستمها أطلوها بعد أن حاضروا فيها طربلا ، ورتعوا في إباحيتها ، ثم صدمتهم نتائجها
ولمحتهم جبراسها .

وفي أحاديث العارفين بما هنالك ما يغني عن الإسهاب ، وبفهمنا إلى توجهات القرآن التي
لا تدعيب دعاة المساواة المطلقة ، والتي لو فطنوا إليها بعقولهم لأراحوا واستراحوا . فالمرآن
يعني المرأة من أمور خشنة عليها كالخرب والسعي على الرجل في المعاش ، ويعفيها من واجبات
دينية أخرى ترهقها أو تعرضها للابتدال .

والقرآن يذكر المرأة دائما في موضع الرفق بها ، والتلطف معها ، والمطف عليها .
ويذكرها دائما على أنها خافت زوجها وسكننا للرجل وقررة عين له ، وأنها مشتقة من
جسده ، وأن بيدها وبين الرجل مودة ورحمة ، فوظيفتها الأولى والأصيلة مرسومة في إطار
من الأنوثة المصقولة .

وبناء على ما أجملا لا يكون الأزهر مع السيدة درية شفيق فيما هي جادة فيه ، إلا أن
تكون هي قد هذبت من فكرتها ، وتربثت في دعوتها ، واهتدت إلى ما يقول به الأزهر :
غير أنها لا تريد الاعتراف بثقله ، فهي تواجه الناس بدعوى السبق على الأزهر .

كذلك لا يكون الأزهر ، ولا يمكن أن يكون تابعا لها فيما تراه ، إلا أن نحو التاريخ
المطويل الذي عاشه الأزهر في رسالته ، ثم نقرضه ناهضا من جديد ، وأنه خفض من كبريائه
وشمرخه ، ووقف .أروما واتخذ إمامه السيدة درية شفيق ، أو من يفتح في بوقها من أولئك
الذين لا يصغون إلى القرآن ، ولا يكرثون بالجارب ، ولا يستجيبون للضمير .
لا . لا . يا أماء ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء .

الكتب

تفسير الطبرى

الجزء الأول - ٦٢٣ ص - دار المعارف بمصر

الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠) علم من أعلام الرواية والفقہ والدوين فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى وأوائل القرن الرابع، وأكثر الذين أفادوا من علمه فى عصرنا إنما عرفوه على أنه صاحب التاريخ الذى حفظ لنا - منذ ألف سنة - عشرات الآلاف من الآثار والنصوص عن عشرات من المراجع الأولى المختلفة المراتب التى أبادها أعداء الإنسانية فى كوارث هولاء الحروب الصليبية وما بعدها. ولولم يؤلف الإمام أبو جعفر الطبرى كتابه فى التاريخ لضاعت هذه النصوص ولضاع بضياها علم غزير وتراث لا يعوض. وما يقال عن تاريخ الطبرى يقال أكثر منه عن تفسيره (جامع البيان عن تأويل القرآن) الذى قال فيه أبو عمر الزاهد غلام ثعلب، قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره فما وجدت فيه حرفاً خفاً فى نحو أو لغة، وإذا كانت هذه منزلة تفسير الطبرى فى النحو واللغة فماذا نقول فيما حفظه من النصوص المأثورة فى تفسير القرآن عن الصحابة والتابعين وسائر أهل القرون الثلاثة الأولى مما حوته كتب أعلام المفسرين المتقدمين فى الزمن على الطبرى، وهذه الكتب العظيمة الخطر هي كذلك مما فقدناه فى الكوارث والاحداث التى نزلت بأرطان العروبة والإسلام، ولولم يؤلف هذا التفسير - وهو فى ثلاثين جزءاً - لكانت الرزية بفقد تلك الكتب أفدح مما نشعر به الآن. وكان تفسير الطبرى قد طبع مرتين قبل نحو نصف قرن لإحدهما بمطبعة بولاق، لكنه فى طبيعته لم يرزق العناية والعلم والصبر والبصيرة النبيرة التى رزقها الآن بقيام رجالين من رجال العلم بتحقيقه وخدمته أحدهما الاستاذ محمود محمد شاكر الذى اضطلع بأعبائه دائماً صابراً منقباً مراجعاً، فتولى تصحيح متن الكتاب وضبطه ومقابلته على ما بين يديه

من مخطوطاته ومطبوعاته، ومراجعتها على كتب التفسير التي نقلت عنه، وعلاق عليه، وبين ما استغلق من عبارته، وشرح شواهد من الشعر، وبذل جهده في ترقيم آثاره ونصوصه. وقد استعان ببقايا مخطوطات الكتاب، وهي أجزاء مفردة من الجزء الأول في دار الكتب المصرية برقم ٤٢ م و ٤٣ م تفسير، والجزء السادس عشر منه برقم ٢٧٨ تفسير، ومخطوطة برقم ١٠٠ تفسير كانت في ٢٥ مجلداً ضاع منها الجزءان الثاني والثالث، وهي قديمة غير معروفة التاريخ، وعلى ما فيها تكاد تكون أصح النسخ ولذلك جعلها أمماً لنشر هذا الكتاب. أما سائر المخطوطات فهي سقيمة وورديئة. وانتفع بكتابي (الدر المنثور) للسيوطي و (فتح القدير) للشوكاني فهما يكثران النقل عن أبي جعفر. أما ابن كثير فلم يقتصر على نقل الآثار بل نقل بعض كلام أبي جعفر بنصه في مواضع متفرقة، وكذلك فعل أبو حيان والقرطبي في مواضع قليلة من تفسيرهما، فعارض المخطوط والمطبوع من تفسير أبي جعفر بما نقل عنه في هذه الكتب، كما راجع كثير أمماً في التفسير من الآثار على سائر الكتب التي هي مظنة لروايتها وبخاصة تاريخ الطبري نفسه ومن في طبقته من أصحاب الكتب التي تروى الآثار بالأسانيد. وما تكلم به الضري من النحو واللغة راجعه الاستاذ محمود شاكر على أصوله مثل (مجاز القرآن) لأبي عبيدة و (معاني القرآن) للفراء وغيرهما، وتبع شواهد ما استطاع في دواوين العرب ونسب ما لم يكن منها منسوباً وشرح الآيات وحقق ما يحتاج إلى تحقيق من قصائدها، وبين ما وقف عليه من اصطلاح النحاة القدماء وغيرهم مما استعمله الطبري وخالفه النحاة المتأخرون في اصطلاحهم.

إن هذا الجهد العظيم الذي بذله الاستاذ محمود شاكر في خدمة تفسير أبي جعفر الطبري مضافاً إليه الفهارس التي سنشير إليها فيما بعد، قد أكمله محمود أخيه الاستاذ العلامة الشيخ أحمد شاكر، فإنه نظر في أسانيد أبي جعفر - وهي كثيرة جداً - فتكلم عن بعض رجالها حيث يتطلب التحقيق ذلك، ثم خرج جميع ما في الكتاب من أحاديث رسول الله ﷺ، وقد يساهم في غير ذلك من مؤازرة أخيه في مراجعة بعض عمله الطيب والاستدراك عليه.

ومع أن الاستاذ محمود شاكر سيلحق بالكتاب عند انتهاء طبعه إن شاء الله فهارس عامة، فقد تمجّل فأفرد بعض الفهارس مع كل جزء، فجمّل فهرساً الآيات التي استدل بها الطبري في غير موضعها من التفسير، وفهرساً لالفاظ اللغة التي رواها الطبري، وكثير منها ما لم يرد

في المعاجم أو جاء بيانه عن معانيها أجود من بيان أصحاب المعاجم ، وفهرسا للرجال الذين تكلم بهم أخوه الأستاذ الشيخ أحمد شاكر .

وهذا الجزء الأول الذي صدر الآن من تفسير أبي جعفر رحمه الله وأحسن إليه انتهى إلى آخر الآية ٤٣ من سورة البقرة ، وتكون بداية الجزء الثاني من تأويل قول الله عز وجل (تأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) وهو مطبوع أنفوس طبع واكمله على ورق جيد . فارجو الله أن يدين على إتمام الكتاب كله وهو المستعان وبه التوفيق .

كتاب البحث ، في شرح كتاب (البعث)

لفضيلة الاستاذ أبو الوفا المراضى — ٢٧٢ ص — مطبعة السنة المحمدية

كتاب (البعث) لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٣٠ — ٣١٦) العالم الحافظ ابن الإمام القدوة الحافظ . وكتابه (البعث) جزء جمع فيه واحداً وثمانين حديثاً في أحوال الميت من وقت احتضاره إلى وقت قراره في الآخرة وما يعرض له بين ذلك من أحوال وأهوال وخوف ورجاء وما يراه في قبره وبعثه وحشره وامتجانه بالسؤال ومروره على الصراط وحاجته إلى الشفاعة والتماسه ذلك عند الأنبياء والمرسلين ، وما أعد الله لأوليائه في الجنة من اللطاف والكرامات .

وقد عثر فضيلة الاستاذ أبو الوفا على مخطوطين قديمين منه بالمكتبة الأزهرية كتبت لإحدهما في أواخر القرن الرابع ، والثانية في أواخر القرن السادس ، وعلى مخطوط ، ثلثة بدار الكتب المصرية بخط إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن جماعة سنة ٨٥٧ . فقام بتحقيق الكتاب وأصححها وشرح كل حديث من أحاديثه ، بعد أن ذكر رجاله وتخرجه ودرجته ، وراجع لذلك كتبها سماها في آخر الكتاب مع تعيين الطبعة التي اعتمد عليها في النقل ، لجاء الكتاب كأجود ما ينبغي من العناية لامثاله من كتب السلف التي نرجو أن يوفق فضيلته إلى نشر أمثالها ، وهي بين يديه ومن حوله في المكتبة الأزهرية التي كان من أعظم خدمته لها تنظيمه الفهرس المفضل لكتبتها في خمسة مجلدات كبيرة . وإن قرأ هذه المجلة من أعرف الناس بفضله مما يقرأونه له في كل جزء من أجزاءها .

الوسيط في أصول فقه الحنفية

لفضيلة الأستاذ أحمد فهمى أبو سنه - ٢٦٤ ص - مطبعة دار التأليف

أصل هذا الكتاب بحوث القسم الثانى من كتاب (التوضيح) فى أصول الفقه لسدر الشريعة الحفيد المتوفى ببخارى سنة ٧٤٧ ، حل به غرامض كتابه (التنبيح) وكان قد نفع به كتاب (أصول نجر الإسلام البزدوى) بتنظيم مسائله وبيان مراده ضاماً إليه ما احتاجه المقام من أصول المرخسى ومحصل الرازى ومختصر ابن الحاجب . ثم شرحه بكتاب (التوضيح) الذى عرض الآن فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد فهمى أبو سنه لبحوث القسم الثانى منه ففهمها وأكملها ورتبها وبذلك يسر دراستها لللاميذه من طلاب أصول الفقه الإسلامى فى كلية الشريعة بالأزهر وكتاب (التوضيح) يعتبر فى مذهب الحنفية حجة ، وقد خطا بأصطلحهم وفقهم خطورة واسعة نحو أحكام القواعد وتهذيب الفروع وقد خدمه فضيلة الأستاذ أبو سنه بهذا الوسيط فبسط بحوثه ، وحقق ما أشكل من مسائله ، واستدرك ما فاته مما لا يستغنى عنه المنفعة ، قال : وربنا اقضى الدليل أن أحاله فى تصحيحه أو ترجمته . وقد حرص على الإكثار من إيراد الأمثلة العقمية توضيحاً للقواعد وتمريناً على تطبيقها وبياناً لمطابقة ما قاله الأصوليون لما رآه الفقهاء .

ومباحث القسم الثانى من التوضيح تناولت حروف المعانى والصريح والكنائية والدلالات والأمر والهمى ودلالتهما وأقسام الأمور به والمنهى عنه وحسن الأفعال وقبحها وشروط التكليف . وقد وصف الكتاب فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحفيظ فرغلى بأنه يحتل منزلة رفيعة من وضوح العبارة وجودة الترتيب والتصنيف وتحرير المباحث وتحفيق المشتبهات وتبسيط الغوامض لجزى الله المؤلف خيراً .

التفسير الواضح

لفضيلة الأستاذ محمد محمود حجازى - الأجزاء ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ - دار الكتاب العربى

لا يزال القراء على ذكر مما سبق لنا كتابته على هذا التفسير المختصر الجامع الذى سد فراغاً كان يشعر به جمهور المثقفين من شباب المسلمين لفهم كتاب الله عز وجل حتى وجدوا فى أجزاءه التى ظهرت حتى الآن كفايتهم العاجلة ، وتمهيد السبيل أمامهم لفهم الكتب المطولة فى تفسير كتاب الله عز وجل .

وقد صدرت أخيراً الأجزاء الـ ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ منه . وقد علم القارىء أن المؤلف الفاعل اختص كل جزء من أجزاء القرآن الثلاثين بجزء من التفسير ، فلم يبق على تمام الكتاب غير الثلاثة الأجزاء الأخيرة ، وفق الله المؤلف ويمر له إتمامه وأحسن جزاءه .

الموارث في الشريعة والقانون

للأستاذ الشيخ رضوان شافعى المتعافى - ١٩٤ ص - المطبعة السلفية ومكتبتها .

هو شرح لقانون الميراث رقم ١٧ سنة ١٩٤٣ مع الفقه بعبارة سهلة وجداول ميسرة تساعد على المهتم وتربية الملتزم ، ألفه فضيلة الأستاذ الشيخ رضوان شافعى المتعافى رئيس محكمة الجيزة الابتدائية الشرعية ، ورتبه على مواد قانون الميراث المعمول به الآن فى مصر ، وقسمه إلى ثمانية أبواب اشتملت على جميع أنواع الميراث . واستطرد فيه إلى ملاحظات واضحة فى بعض المواد والمدكرة الإيضاحية وبعض الموضوعات . وألحق به بحثاً فى الوصية الواجبة التى صدر بها قانون سنة ١٩٤٦ فىكون من تمام شرح قانون الميراث استيفاء شرح قانون الوصية الواجبة أيضاً . وهو مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد .

المرأة والإسلام

للأستاذ كمال أحمد عون - ٢٢٠ ص - مطبعة الشعراوى بطنطا

مؤلف الكتاب من أفاضل علماء الأزهر ، وكتابه من أجود ما قرأناه لأزهري فى موضوعه ، فقد جمع بين العلم والبصيرة البيرة والشجاعة فى مواجهة الباطر بأسلمحة الحق . وتدور بحثه حول : المرأة فى التاريخ ، المرأة العربية ، هل تساوى المرأة الرجل فى القوة الجسمية ، مكانة المرأة فى الإسلام ، تعدد الزوجات ، مشروعية الطلاق ، المرأة فى الميراث والشهادة ، المرأة والحجاب ، المرأة والمجد ، المرأة ولأزهر ، المرأة والحياة العامة ، المرأة والحياة السياسية ، المرأة والشواطىء ، المرأة والأقلام المسمومة ، فى رياض القرآن . ولا عجباً بنا بالكتاب تمديداً لو أنه خلا من كلمة (مرحوم) فهى حكم بما لا يملكه إلا الله ، وأفضل من ذلك صيغة الدعاء (رحمه الله) . وإنما ننصح لكل طالب أزهري بأن يقتنى هذا الكتاب وأن يهجم به فى الدعوة والتفكير .

الأدب والعلوم

الالتحاق بكليات الأزهر

اطلاب البعث من البلاد الإسلامية

سنت مشيخة الأزهر نظاماً جديداً
لالتحاق طلاب البعث من البلاد الإسلامية
بالكليات الأزهرية الثلاث، وهو يتضمن
ما يأتي :

حصولهم على شهادة عالية معتبرة من بلادهم ،
وترى المشيخة الموافقة على طلبهم مراعاة
لظروفهم - بمنحون عند تخرجهم إجازة من
الكلية بإتمام هذه الدراسة ، لعدم سبق
حصولهم على الشهادة العالية من إحدى كليات
الأزهر .

تصنيف المرأة المسلمة

في الأزهر

المسؤولين في الأزهر حاجة المرأة المسلمة إلى
التفقه في الدين ، وأن يتخرج من المسلمات
طائفة تشارك في العلوم الإسلامية ، فنشأ
لهن كلية خاصة من في الأزهر تكون مهمتها
إعداد فتيات صالحات دينياً واجتماعياً بمختلف
الدراسات المؤهلة لذلك وتستمد هذه الكلية
طالباتها من أقسام للبنات تلحق بكل معهد
ديني . وإلى أن تستطيع هذه الأقسام إمداد
الكلية بما يلزم من الطالبات اتجه الرأي
إلى الاستعانة بوزارة التربية والتعليم في أن

١ - يمتحن الطلاب الوافدون للالتحاق
بالدراسة العالية بالأزهر - من حملة المؤهلات
الشرعية التي لها قيمة عليية - امتحاناً عاماً
في المواد الأساسية يكشف عن مدى استعدادهم
وتحدد لهم على أساسه السنة الدراسية التي
يلحقون بها بحيث لا يتجاوز السنة الأولى
بالكليات .

٢ - لا تمنح شهادة العالمية مع الإجازة
إلا لمن أتم الدراسة العالية بالأزهر قبل
الالتحاق بأقسام التخصص .

٣ - الطلبة الذين يطلبون السماح لهم بمتابعة
الدراسة فقط في قسم من أقسام التخصص
- لحاجتهم الخاصة إلى هذه الدراسة مع -

وزير التربية والتعليم الذي كان في استقباله أصحاب الفضيلة الشيخ الحسيني سلطان والشيخ صالح شرف والشيخ عبد اللطيف السبكي والشيخ محمد فهم اسماعيل .

وافتح الندوة بكلمة من فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي باسم فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر اشرافاها في مكان آخر ، وقد رحب فيها بالضيوف في أفندم جامعة ترعى التراث الإسلامي . ثم تحدث بعده السيد وزير التربية والتعليم فرحب في كلمته باسم الثورة بالضيوف وتمنى لهم إقامة سعيدة .

ودارت في هذه الندوة أحاديث وإجابات على أسئلة فيما بين الطلبة عما يحول في أذهانهم من شؤون التربية والتعليم والحياة الدراسية ، وكان الطلبة المنحدثون من سيلان والدانمارك ومصر وفنلندة وفرنسا وألمانيا وساحل الذهب والسويد وسويسرا والروج والأردن وانجرا وأمريكا وبوغورلانيا ، فكان ذلك نموذجا لطيفا للتفكير في مختلف الأوطان حول المعاني التي تجول في أذهان الجميع .

قاعة المحاضرات بالأزهر

تمد قاعة الأزهر بالمحاضرات من أضخم ت مصر لهذا الغرض ، وهي تتسع لنحو

تتنازل للأزهر عن إحدى مدارسها الخاصة بهذا اللون من التعليم وهي مدرسة تقع في حي الغورية بالمهارة وبها نحو ٣٠٠ طالبة ، ورؤى أن يتحدث فضيلة الاستاذ الاكبر إلى السيد وزير التربية والتعليم في هذا الموضوع حتى إذا وافق الوزير أمكن ابتداء الكلية من أول العام الدراسي المقبل .

وسيعد لهذا المشروع منهج علمي سهل التناول قريب المأخذ يشتمل أيضا على بعض المهن النسائية وغيرها من مواد التدبير المنزلي ومواد الآومة والتريض ، ولذا تم ذلك تنشأ في الأزهر (مرافقة عامة لشئون البنات) .

ندوة للمطرب في الأزهر

دعت إدارة التربية الرياضية والاجتماعية بوزارة التربية والتعليم إلى ندوة عامة بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر حضرها أكثر من أثنى طالب وطالبة امتلات بهم جوانب المدرج . واشترك في الندوة الطلبة الضيوف الفائزون في مسابقة نيويورك هيرالتربيون وعدد ١٦ طالبا ، كما اشترك فيها ١٤ طالبا مصريا فازوا بمسابقة الكتب المدرسية .

وقد رأس الندوة الصاغ كمال الدين حسين

إعداد الأعم الصالحة

وافق السيد وزير الأوقاف على إنشاء معهد لإعداد (الام المسلمة الصالحة) عن طريق إعداد الفتاة عقب إتمامها مرحلة الدراسة الثانوية وتزويدها بدراسات في التدبير المنزلي وواجبات الام نحو أولادها وزوجها .
عدا دراسات أخرى في تربية الطفل والطهي وأشغال الإبرة . وسيقبل في هذا المعهد ١٢٠ فتاة كدفعة أولى ويشرف على تنفيذ المشروع مدير الثقافة في وزارة الأوقاف .

أربعة آلاف مستمع ، ومزودة بآلة عرض سينمائي . وقد تم التفاهم بين المجلس الأعلى لرعاية الشباب والجامعة الأزهرية على الإفادة من هذه الغماعة في نشر النشاط المسرحي والسينمائي ، واستقر الرأي على أن تشترك كل من وزارتي التربية والتعليم والشئون الاجتماعية والجامعة الأزهرية في تذييق برامج استغلال هذه القاعة لتحقيق هذه الأغراض .

رواق شرق السودان

تحقق مشيخة الأزهر رغبة الطلاب الوافدين من مديرية كسلا وما جاورها في شرق السودان بإشياء رواق خاص بهم يسمى (رواق شرق السودان) ، وسينتسب إليه الطلاب الوافدون من البلاد الواقعة بين حدود مصر الجنوبية شمالاً والبحر الأحمر وحدود أريتريا والحبشة شرقاً وخط وهمي مستقيم شمال مدينة كسلا يبدأ شرقاً من حدود أريتريا والحبشة جنوباً ونهر عطبرة غرباً .
وإذا كان بين الأوقاف المرصدة على طلاب الأزهر وعلماؤه أوقاف خاصة بأمالى هذه الجهات أو بعضها فإنها ستصرف لأهلها على شروط لوافدين .

كلية إسلامية بالملايو

ومستشفى إسلامي في بورما

قال القائم مقام أورا السادات إن مسلمي الملايو أنشأوا أخيراً كلية إسلامية في بلادهم وإن الرئيس جمال عبد الناصر تبرع لهذه الكلية بحوالي ألفي جنيه سنوياً . وإن الأزهر سيوفد إليها اثنين من رجاله ليساهما في التدريس بها وهما مصريان حاصلان على شهادة التخرج من الأزهر وشهادات من جامعتي لندن وكبرج .

كما تبرع الرئيس جمال عبد الناصر بحوالي ألف جنيه سنوياً للمستشفى الإسلامي في بورما .

وعاظ امراء قطار الشقيقة

في شهر رمضان

وافق مجلس الأزهر الاعلى على انتداب ستة وعاظ أزهرين إلى السودان ، وخمسة للعراق ، للوعظ في شهر رمضان المعظم . واختيار واعظين للوعظ في قطاع غزة .

الجفسي ، أو التي تستهدف إلى إثارة الرعب الشديد في النفوس . وقد وضعت الحكومة

البريطانية هذا القانون استجابة للرأى العام الذى ضج بالشكوى من هذه المسرحيات والقصاص .

سنة الأزهر الدراسية

تحددت نهاية السنة الدراسية في الأزهر هذا العام بيوم الخميس ١٠ ذى القعدة (٣٠ يونيو) وبدا الدراسة في العام المقبل يوم السبت ٢٨ صفر ١٣٧٥ (١٥ أكتوبر) .

عشر أحمد الامالى ببلدة ميت رهينة من أعمال البدرشين على قربتين مدفونتين في حظيرة المواشى وكانتا مليئتين بالذهب الفرعونى . وتبين أن في تلك البقعة مقبرة فرعونية يوجد بها تابوت وبعض القطع الذهبية .

جامعة أردنية

سترصد المبالغ التي يجرى جمعها في أنحاء بلاد الأردن لمناسبة زفاف الملك حسين على الاميرة دينا ليستعان بها في مشروع بناء الجامعة الأردنية التي تتجه النية إلى إنشائها .

علوم الحرب ومصطلح

اقترح مدير معهد الدراسات الاسلامية في حيدر اباد الدكن على الامانة العامة لجامعة الدول العربية إنشاء معهد أو جماعة تألف من علماء الارطان الاسلامية لدراسة علوم الحديث النبوى ومصطلحه ، لان ذلك من أهم الاسس في التشريع الاسلامى وفهم الاسلام . وقد أحيل هذا الاقتراح على المؤتمر الاسلامى للنظر فيه .

قانونه نحن في حاجة إلى ممد

وافق مجلس العموم البريطانى على مشروع قانون يقضى بمنع عرض أو نشر القصص والمسرحيات التي تتضمن المواقف الجفسية العنيفة ، أو التي تصور بعض بواحي الشذوذ

إنباء العجّل النبيل

استورام قوة المسلمين

بحكمه ، وبلا حد

بكل ما لدينا من وسائل ، وهذه المصادر الثلاثة هي :

١ - أننا شعوب متجاورة تربط بينها جميع الروابط المادية والأدبية الممكنة .

٢ - أرضنا نفسها وموقعها على الخريطة ، ذلك الموقع الاستراتيجي الذي يعد مفترق طرق العالم .

٣ - البترول عصب المدنية المادية الذي بدونه تتوقف جميع الآلات عر عملها . ان تكاليف إنتاج برميل البترول في أمريكا الشمالية ٧٨ سنتا ، وفي أمريكا الجنوبية ٤٨ سنتا ، أما في البلاد العربية فإن هذه التكاليف لا تتجاوز ١٠ سنتات ، ان مركز الإنتاج العالمي للبترول قد انتقل من الولايات المتحدة الأمريكية إلى البلاد العربية التي لاتزال بكرا ، ونصف ثروة العالم من البترول تحت أرض البلاد العربية ، وإن متوسط الإنتاج اليومي للبتر الواحد هو ١١ برميلا في الولايات المتحدة و ٢٣٠ برميلا في نزيولا ، و ٤٠٠٠ برميل في البلاد العربية .

ترى هل أوضحت الآن مدى أهمية هذا العنصر من عناصر القوة ؟ أرجو أن أكون فعلت ...

قال الرئيس جمال عبد الناصر في كتابه (تحرير مصر) الذي صدر في الأيام الاخيرة : عند ما أنظر إلى الثمانين مليوننا من المسلمين في أندونيسيا ، وإلى الستين مليوننا في الصين ، وإلى ملايين المسلمين في الملايو وسيام وبورما ، وإلى المائة المليون من المسلمين في باكستان ، وإلى مثلهم في الشرق الأوسط ، وإلى الأربعين مليون مسلم في الاتحاد السوفيتي ، وإلى غير هؤلاء وأولئك من ملايين المسلمين المبعثرين في مشارق الأرض ومغاربها - عند ما أنظر إلى هذه المثات من الملايين الذين تجمع بينهم عقيدة واحدة ، أشعر بضخامة الاحتمالات التي يمكن تحقيقها عن طريق (التعاون) بين (جميع هؤلاء المسلمين) ، تعاوننا لا يتجاوز نطاق ولائهم الطبيعي لأوطانهم ، ولكنه يهيء لهم وإخوانهم في العقيدة (استخدام قوتهم بحكمة وبلا حد) .

إن لدى شعوب الشرق الأوسط ثلاثة مصادر رئيسية للقوة يجب أن نستخدمها

إلى مؤتمر باندرونغ

في الهند وبورما . وفي يوم السبت ٢٣ شعبان (١٦ أبريل) وصل الرئيس جمال عبد الناصر والوفد المصرى الى جاكرتا ثم إلى باندرونغ ، وبالرغم من أن الامطار الموسمية العزيرة كانت تهطل على المستقبلين إليهم ظلوا ساعات ينتظرون وصوله ، واستقبله مع رجال الجمهورية الايدونسية لوف كثيرة من الشعب . وسنصف في الجزء الآتى هذا المؤتمر الذى يمثل الامم المستعمرة أو التى كانت مستعمرة وهى الشطر الاعظم من أمم الأرض وأشير إلى أعماله وقراراته إن شاء الله .

المؤتمر الاسلامى

قال القائمقام أنور السادات عقب عودته إلى مصر من رحلته في الاقطار الإسلامية :
تقرر تأليف (المجلس الأعلى) لمؤتمر الإسلامى من الملك سعود رئيسا والسيد غلام محمد الحاكم العام لباكستان والسيد جمال عبد الناصر ، وستوجه الدعوة إلى المؤتمر الإسلامى إلى جميع المسلمين في العالم وستبرع كل من مصر وباكستان والمملكة السعودية بمائتى ألف جنيه كل سنة لتحقيق التعاون بين المسلمين . ولن يكور لمؤتمر الإسلامى شأن بالسياسة وسيكون مؤتمر عمل لرفع مستوى المسلمين في جميع بقاع الأرض .

في الساعة الواحدة من صباح السبت ١٦ شعبان (٩ أبريل) غادرت مطار القاهرة الدولى إحدى طائرات شركة الخطوط الجوية الهندية مقلة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس وفد مصر إلى المؤتمر الآسيوى الأفريقى في باندرونغ باندونيسيا ، ورافق الرئيس في سفره أعضاء وفد مصر في المؤتمر وهم السادة : الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد ، والدكتور محمد فوزى وزير الخارجية ، والشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف ، والأستاذ محمد أبو نصير نائب وزير التجارة والصناعة ، والأستاذ عبد الحنان حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية ، والأستاذ مصطفى كامل أستاذ القانون الدستورى بجامعة القاهرة ، والأستاذ عبد الله العريان المنتدب في الإدارة المانوية بوزارة الخارجية . وينضم إلى وفد مصر هناك الأستاذ على فهمى العمروسى وزير مصر المفوض في أندونيسيا وقائد الجناح على صبرى مدير مكتب الرئيس للثيون السياسية على أن يلتحق بالرئيس في كراتشى . وللوفد سكرتارية فنية وحرس وكتبة يعملون للصحافة والإذاعة .
وقد مر الرئيس بكراتشى فاستقبل فيها استقبالا منقطع النظير ، وكذلك كان استقباله

إسرائيل تدرك أن قرار مجلس الأمن في هذه المرة يعتبر إنذاراً . ولاحظ لولي موزو مندوب نيوزلندا أن المندوب الإسرائيلي لم يشر بشيء إلى معاقبة المشورين عن هذا الحادث ، ولا إلى تعويض . صر عن الحـ ثـ التي لحقتها ، وهو شيء يحق لمصر أن تصالب به . وقال سوبوليف مندوب روسيا : إن هذا العدوان الإسرائيلي يعد خرقاً لميثاق الأمم المتحدة ولا اتفاقية الهدنة ، ويجب مع استنكار هذه الاعمال أن تتخذ الإجراءات التي تكفل عدم تكرارها في المستقبل .

وأجرى الاقتراع ، فوافق أعضاء المجلس بالإجماع على إدانة إسرائيل .

وتكلم مندوب مصر الأستاذ عمر لطفي فقال : إن قرار المجلس بإدانة إسرائيل غير كاف ، ويأمل أن يحمل هذا القرار السلطات الإسرائيلية على التفكير في التكف عن الاعمال الحربية .

المصوص وأصحاب البيت

بلغ عدد المدن والقرى العربية التي نسفها اليهود وشردوا أهلها ٩١٨ مدينة وقرية في فلسطين . وجاء في الكتاب السنوي الذي أصدرته حكومة إسرائيل عن إحصائيات سنة ١٩٤٥ أن عدد العرب الموجودين الآن في الأراضي الفلسطينية التي يحتلها اليهود بلغ حوالي ١٧٧ ألفاً ، منهم ١٢٠ ألف مسلم و ٤١ ألف مسيحي و ١٦ ألف درزي .

إدانة إسرائيل في بغيرها ، إلى غزة

وصفنا في الجزء الماضي (ص ٨٣٠) البغي الذي وقع من إسرائيل على قطاع غزة . وقد نظر مجلس الأمن يوم ٥ شعبان (٢٩ مارس) في هذا الحادث ، وكانت الجلسة برئاسة مندوب تركيا سليم صاري ير ، فقال سربرسون ديكون مندوب بريطانيا استناداً إلى الأدلة المسائلة أمام المجلس : إن عدوان إسرائيل كان مذبذباً ، وكان عمية عسكرية أقدمت عليها إسرائيل عمداً ، ويجب أن نذكر بما مضى موقف مصر على ما أظهرته من ضبط الا مصاب ، وكان من السهل جداً على مصر أن ترد على العدوان المسلح بعدوان مسلح مثله . وقال هنري كاوت لورج مندوب أمريكا : لقد أضحينا في هذا المجلس في ثلاث مناسبات سابقة وفي شكل قرارات أو تصريحات أن هذه الإجراءات الانتقامية إلى تهوم بها إسرائيل لا تتماشى مع التزامات الدول بميثاق الأمم المتحدة . ونحن نواجه الآن الحادث الرابع وهو أخطر الحوادث إطلاقاً لأنه كان مذبذباً . وقال هنري هوبينو مندوب فرنسا : إن لجنة الهدنة المشتركة أدانت إسرائيل في حادث غزة ، وكان مجلس الأمن قد أصدر في سنة ١٩٥٣ قراراً بإدانة إسرائيل في مذبة (قرية) التي ذهب ضحيتها أكثر من ٥٠ عربياً ، ولعل

الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم
٨٣٣	الطريق الى فهم الاسلام	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٨٣٧	نفحات القرآن : المرآة والمباعدة	» عبداللطيف السبكي عضو جامعة كبار العلماء
٨٤٠	السنة : راية الاسلام	» طه محمد الساكت
٨٤٦	مقارنة بين المدالة التشريعية في النواين الوضعية والرأى في التشريع الاسلامى	» عبدالله المراغى
٨٤٩	نظرات في كتاب : المصلحة والتشريع الاسلامى	» أحمد الشرباصى
٨٥٤	فنع الفتوح في الاسلام	» محمد محمد أبو شهبه
٨٥٩	النظم التي يزوم عليها المجتمع الاسلامى	» محمد محي الدين المسيرى
٨٦٩	أدركوا الأسرة	» أبو الوفا المراغى
٨٧٢	وفي البلاغة أيضا	» على المهارى
٨٧٧	عقبة بن ذافع	» محمد رجب البيومى
٨٨٢	يوم الفرقان	» محب الدين الخطيب
٨٨٥	شخصية الأزهر	» عبد اللطيف السبكي مدير التنفيذ
٨٩٥	غزوة الخندق	» محمد جمال الدين محفوظ
٨٩٩	لغويات	» محمد على النجار
٩٠٣	رأس الناس في زمانه : طامر الشعبي	» محمود النواوى
٩١٠	منبر المسجد الأقصى	» احسان النمر
٩١٢	كلمة الأرمهر في الترحيب بالطلبة اله مزين في مسابقة [نيويورك هراهد ترييون]	» عبد اللطيف السبكي
٩١٤	معنى الأرض في مختلف الآيات	» طه الزيني
٩١٨	عموم التبعات والواجبات الاجتماعية	» محمود فرج العفدة
٩٢١	الاختلاط في التعليم	» محمد صابر عاشور
٩٢٣	ليلة القدر	» محمد عبد المنعم زهران
تعليقات		
٩٢٥	مع الثورة في مصانع القنخيرة	» عبد اللطيف السبكي مدير المجلة
٩٢٩	الأزهر ومزامم السيدة درية شفيق	»
٩٣٢	الكتب	» المجلة «
٩٣٧	الأدب والمعلوم	»
٩٤١	أنباء العالم الاسلامى	»